محمد صادق الصدر

الشيعة الإمامية

نقد لما أورده خصوم الشيعة الإمامية فى كتبهم وآثارهم

مطبوعات النجاح بالقاهرة

کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران
۱۳۷۴

محمد صادق الصدر

الشيعة الإمامية

نقد لما أورده خصوم الشيعة الإمامية في كتبهم وآثارهم

قدم له

الدكتور حامد حفني داود

أستاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم اللغة العربية

بجامعة عين شمس - القاهرة

وأستاذ الأدب العباسي بجامعة الجزائر حالياً

راجعه وعلق عليه

السيد مرتضى الرضوي

مؤلف كتاب مع رجال الفكر في القاهرة

مطبوعات النجاح بالقاهرة

الطبعة الثانية
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
القاهرة

دار التوفيقية
للطباعة بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحیم

واعتصموا بحبل الله جمیعا ولا تفرقوا

قرآن کریم

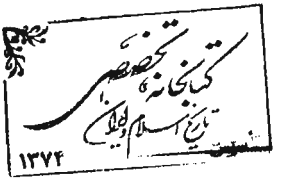

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الازهر

نص الرسالة التي كتبها الاستاذ الأكبر في ذي القعدة عام ١٣٩٧هـ إلى سماحة
العلامة الكبير الحاج آقا حسن سعيد من علماء الإمامية بطهران – ايران ٢٥/ ١٠ / ١٩٧٧ م

سماحة الشيخ حسن سعيد

من علماء طهران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

فان الأزهر لا يحمل الى اخواننا الامامية والى اخواننا الزيدية الا كل ود ونحن الآن في دور ندعو فيه الى الوحدة والاخوة واذا حدث شيء من هنا او هناك فسنحاول ان نصلحه وان تصلحوه،

ونسير جميعا في طريق السلام والحب والود ،

وما ورد في كتاب مذكرة التوحيد سيصلح ان شاء الله ،

ونرجو ان يحدث المثل عندكم اذا حدث ،

وشكر الله للساعين في الوحدة ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

تحريرا في ٢٥/١٠/١٩٧٧ م

(عبدالحليم محمود)
عبد الحليم محمود
شيخ الازهر

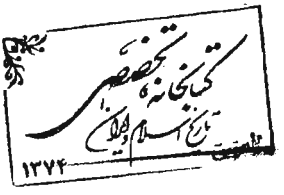

مقدمة الكتاب

بقلم

الدكتور حامد حنفي داود

استاذ الأدب العربي بكلية الألسن ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد عودتى من الجزائر فى أواخر شعبان سنة ١٣٩٨ من هجرة سيد الأنبياء إلتقى بى فى القاهرة الأخ الكريم السيد مرتضى الرضوى وأهدانى مجموعة من كتب السادة الإمامية ومن بينها كتاب : « معتقدات الشيعة الإمامية » . وما كاد نظرى يقع عليه حتى تناولته بالقراءة الفاحصة وشدنى ما فيه دراسة مستفيضة عن مذهب الإمامية كما أعجبنى ما اعتز به مؤلفه سماحة العلامة السيد محمد صادق الصدر من جراءة فى القلم وشجاعة فى الأسلوب وغيره على الحق وقد ضاعف من دفعى على تسطير هذه المقدمة مما جبلت عليه من ميل شديد للتقريب بين شق أمة محمد ﷺ لقول الله سبحانه .

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

من وحى هذه الآية الشريفة من آى الذكر الحكيم نصدر هذا الكتاب، دعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وإقراراً لكل مذهب من المذاهب الفقهية على ما لديه من المسائل الفرعية ، وتثبيتاً لما عنده من اجتهاد فى الأصول ، وفى تصور العقيدة الصحيحة فى العمق واليقين الذى هداه الله إليه .

ما دام هدف هذه المذاهب الاسلامية هو التوحيد الأكبر الذى ندعو إليه فى جميع كتاباتنا .

ولا يضير أى مذهب من هذه المذاهب الاختلاف فى القضايا الفرعية وفى درجة العمق فى مفاهيم الأصول والقيم الإسلامية لأن المدار كل المدار هو التوحيد الأكبر الذى يتبلور حول الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكة وبالقضاء خيره وشره حلوه ومره مع توحيد عملى يجمع بين هـــذه المذاهب فى كون الصلوات المفروضة خمس صلوات وفى وجوب الزكاة ، وفى صوم شهر رمضان ، وفى حج بيت الله سبحانه لمن إستطاع إليه سبيلا .

وليس هناك أدنى تبرير لما يثيره أهل العصبة من هذه المذاهب من تعصب كل مذهب لرأيه مادامت قضايا الاختلاف لا تتجاوز الفروع واختلاف وجهات النظر فى فهم النصوص ، وهو حق مشروع لكل من ملك أدوات الاجتهاد من أئمة المذاهب الإسلامية الذين وصلوا بعلمهم وأخلاقهم وإجتهادهم إلى التمسك بالمفهوم الأقرب إلى جوهر النصوص الشرعية .

فإذا حدث اختلاف بينهم فى هذه المفاهيم فإن ذلك دليل على عظمة الله والإسلام وإتساع باب الإجتهاد فيه .

وليس كما يعتقد الآخرون من أنه : دليل الوهن والضعف والاضطراب مادام المجتهد — كما قلنا — يملك عن يقين أدوات الإجتهاد وعلومه من شرعية ولغوية وبلاغية وأصولية .

والمسوغ الأعظم لهذا الإجتهاد بأخذ شرعيته من قول الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ :

« واختلاف أمتى رحمة » ومع أن الحديث الذى تقرر فيه الرسول الأعظم

مشروعية الإجتهاد ويضع فيه الفقهاء أمته الأكارم منطلق الفتوى وافتح لهم فيه باب الإجتهاد فى فهم النصوص ...

أقول : مع أن الحديث ليس من الأحاديث البالغة درجة الصحة فى السند إلا أنه ــ كما نص عليه الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى رحمه الله ـ من الأحاديث البالغة من الشهرة والجريان على ألسنة الراسخين فى العلم درجة تقرب من درجة الأحاديث المتواترة .

ولهذا الحديث الشريف ما يؤثره من القضايا العلمية فى الإسلام . فقد ثبت أن المصلح الأكبر صلوات الله عليه حين بعث بصاحبيه الذكى (معاذ بن جبل الأنصارى) إلى اليمن ليعلم أهلها أمـــور دينهم ، ويفقههم فى قواعد الإسلام وأخلاقياته ويقضى بينهم على أساس من مبادىء الإسلام ..

سأله النبى صاحبيه ـ وقد كان معاذ فى ذلك الوقت من شباب أصحاب رسول الله وقد كان النبى عليه السلام يحبه كثيراً وقد قبله مرة بين عينيه وهو يقول :

اللهم إنى أحب معاذاً فأحبه .

فإذا قال النبى لهذا الصحابى حين بعث به إلى اليمن ؟

وقد كان معاذ ثالث ثلاثة أرسلهم النبى إلى اليمن على فترات .

أولهم فى المكانة ابن عمه الإمام على ، وثانيه هو معاذ بن جبل . وحين عزم النبى إلى أن يبعث به إلى هذه البلاد قربه منه وبادره بقوله الشريف : كيف تقضى يا معاذ ؟ فأجاب معاذ بكتاب الله تعالى .

فقال النبى ـ وهو العارف بأصول كل شىء من ربه ـ :

فإن لم تجد فى كتاب الله ؟ قال معاذ : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم تجـــد . قال : أجتهد ولا آلو . فضرب النبى بين كتفيه وهول يقول :

الحمد لله الذى عرف رسول ، رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله .

وهكذا قد تبين لقارئنا الاسلامى الحصيف سنياً كان أو شيعياً أن الاختلاف بين المذاهب الاسلامية .

ونعنى بذلك المذاهب الفقهية* ـ أو جائز لالبس فيه ولا عوج ولاخروج عن أصول الشريعة ، إستمداداً من هذين الحديثين الشريفين وأولها من أحاديث الأقوال والثانى من تقريرات المربى الأكبر ﷺ .

أفبعد ذلك يتقول متقول أو يتهكم متهكم على مذهب من المذاهب الفقهية .

ما دامت قواعد الاجتهاد واحدة .

وما دامت عقيدة التوحيد الأكبر واحدة .

وما دام النبى صلوات الله عليه أقر مبتدأ الاجتهاد ودعا إليه .

وما شرحناه لك فى الأحكام الفقهية ينسحب على إستمداد الأحكام الأصولية وأدلة التوحيد ووسائل الاعتقاد وطرائقه .

---

* المذاهب الفقهية المعتمدة هى: المالكية والحنفية والإمامية والشافعية والحنابلة والأباضية والزيدية والظاهرية .

ويكاد الاختلاف فى إستمداد الأصول يتعدد بتعدد المذاهب الفقهية .

فهناك العقيدة الأشعرية المنسوبة لأبى الحسن الأشعرى ،

والعقيدة الماتوريدية المنسوبة إلى أبى منصور الماتوريدى ،

وهناك العقيدة الاعتزالية ، والكلابية .

والعقيدة الواسطية المنسوبة إلى أتباع بن تيمية وأتباع محمد بن عبد الوهاب ،

وهناك العقيدة الزيدية ، والعقيدة الأمامية المنسوبة إلى الامام جعفر بن محمد الصادق سلام الله عليه ، وكلهم جميعاً من أهل النجاة إلا إذا إستثنينا المكفرة الذين كفروا عليا المؤلهة الذين ألهوه .

وهذا الاختلاف فى إستمداد أصول العقيدة لا يضير جوهر العقيدة فى شىء لأن المنطلق العام الذى يشمل هذه المذاهب واحد فى جوهرة وهو : التوحيد الخالص وتنزيه الله سبحانه عن الاتصاف بصفات الحوادث ،

وأنهم جميعاً يتفقون فى نسبة الكمال المطلق إليه سبحانه .

فإن حاججنا محتج أو عارضنا معترض قائلا كيف بك تدعى السلامة لهذه المذاهب جميعها والرسول صلوات الله عليه يقول : افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى إلى اثنين وسبعين فرقة وتفترق أمتى إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كلها فى النار إلا فرقة واحدة .

ونحن فى ذلك لانقول بما قاله عامة العلماء من أن الفرقة الناجية هى الشيعة وحدها أو أهل السنة وحدهم ،

بل الذى نراه مقصوداً من عبارة الفرقة الناجية هو : (أهل الاعتدال)

من هذه الفرق جميعاً لا نستثنى منهم إلا المؤلفة ، والغالية والحلولية وبعض المنسوبين إلى الكيسانية ، والمكفرة الذين كفروا الامام على .

ونضيف إليهم فى عصرنا الحديث البهائية الذين زعموا نبوة الباب ، والقاديانية الذين أدعو نبوة غلام أحمد .

ذلك هو رأينا الذى ندين الله عليه ، وهو فى نظرنا الرأى الصواب الذى يتمشى مع ما جاء فى أحاديث المبشرات الدالة على أن نبينا صلوات الله عليه هو سيد أولى العزم من المرسلين وآل بيته هم خير آل وأمته خير الامم وأكثرها عدداً يوم القيامة .

ولقد أثار العلامة الصدر فى كتابه القيم قضايا كثيرة تتعلق بما بين شقى الامة من خلافات أكثرها ـ فى نظرنا ـ من القضايا النسبية .

وهذه القضايا يمكن تقسيمها إلى شرعين رئيسين :

الاول: قضايا الدفاع ضد مارمى به الشيعة من مفتريات وتخرصات نسبت إليهم ظلماً .

الثانى: قضايا إجتهادية تتعلق باستمداد الاصول وفلسفة التوحيد .

أما القضايا المتعلقة بدحض ما افترى على الامامية من تخرصات . فإن المؤلف كان فى هذا موفقا درجة لا تضارع من الحق والغيرة على فرقة مؤمنة من الفرق الاسلامية. وله كل العذر وإذا احتد أو إشتط به الحماس، أو أخذته الحمية لان الدفاع عن سلامة الايمان لايقل عن الدفاع عن النفس والعرض والمال .

وقد أشار سيد الأنبياء فى أكثر من حديث أن تكفير المؤمن كقتله تماماً وشدد النكير على هؤلاء النفر الذين يكفر بعضهم بعضاً .

ولهذا فإن له فى هذا الموقف عذره لأن الكثيرين من الباحثين كانوا أشبه بحاطب ليل خاضوا فى الحكم على الإمامية وهم من فرق الشيعة المعتدلين دون أن يميزوا بين المعتدلين من الشيعة والمتطرفين من الفرق كالمؤلهة والحلولية والكيسانية .

ووقع أمثال هؤلاء فى أخطاء جسيمة وتبعات ضخمة كانت سبباً فى إحداث الفرقة بين طوائف الأمة .

وحق للمؤلف أن يرفع عقيرته دفاعاً عن الحق ودحضاً لهذه المفتريات.

أما القضايا المتعلقة بفلسفة التوحيد فقد كان موقف المؤلف فيها يختلف عن موقفه من قضايا التخرصات التى رمى بها الشيعة الإمامية :

فقد تناول قضية من أشق القضايا التى تعثر فيها العلماء قديماً وحديثاً وهى آيات الصفات التى وردت فى القرآن فقد ذكر فيها أن أهل السنة يعتبرون فى عداد المجسمة الذين لا يؤولون الآيات حين يذهبون فى قوله — مثلا — الرحمن على العرش استوى بمعنى جلس ، ويداه مبسوطتان بمعنى له يدان ، وكحديث نزول الله إلى سماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل .

بينما يرى أن الشيعة ـ وحدهم ـ يؤولون هذه الآيات تنزيهاً لله عن التجسيم والتشبيه لصفات الحوادث فاستوى بمعنى استولى ويفسرون يده بمعنى قدرته .

والحق أن الفريقين لا يختلفان فى التنزيه فى فهم آيات الصفات . وأن المجسمة ليسوا جميع أهل السنة وإنما ينحصرون فى اتباع ابن تيمية ،

ويدسبون هذا التفسير ظلماً للإمام أحمد ابن حنبل ، ولم يفهموا المراد من قول السلف : له يد ولا كأيدينا وله استواء ولا كاستوائنا . وبذلك قال مالك حين سئل عن الاستواء فقال (رض) :

الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ثم أمر بإخراج السائل من مجلسه .

ويقابل هذا الرأى المعطلة ـ والحـــق أن المعطلة لا وجود لهم بين الشيعة المعتدلين .

ومن هنا يتبين لنا أن الخلافات فى فهم آيات الصفات خلافات نسبية وأن المعتدلين من الفريقين يقصدون تنزيه الله فعلا ونصاً . وكل منهما نظر إلى قضية التنزيه من زاوية معينه .

فأهل السنة الأوائل حجتهم الأخذ بالظاهر لأن النص يؤيده .

والشيعة أخذوا بالتأويل لأن التنزيه يؤيده .

وقد أوضحت فى كتابى تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول أن العقيدة المثالية فى تفسير آيات الصفات هو الجمع بين الظاهر والباطن أى بين ظاهر النص وباطنه وهو ماذهب إليه فقهاء القرن الثانى حين يقولون :

له استواء ولكن لا كاستوائنا وله سمع ولكن لا كسمعنا وله يد ولكن لا كأيدينا .

يؤيده قوله تعالى : ليس كمثله شىء وبهذا يبطل التناقض بين رأى السلف فى الأخذ بالظاهر ورأى المعتزلة فى التأويل والتنزيه .

وكان بهذا القول يأخذ مالك وما أحسب ذلك إلا آخذاً عن الإمام الصادق سلام الله عليه .

وقد كان أستاذ هذه الطبقة من أهل الاجتهاد المطلق .

ونحن نوافق المؤلف من أن فلسفة التنزيه نمت وتوسع فيها المعتزلة ولكننا لا نوافقه من أنها نشأت وولدت فى بيئتهم العلمية بل هى من نتاج أئمة آل البيت.

فالمعتزلة تلاميذ واصل ابن عطاء وهذا : تلميذ أبى هاشم .

وأبو هاشم تلميذ والده محمد ابن الحنفية ومحمد ابن الحنفية تلميذ والده جد الأئمة على ابن أبى طالب .

وعلى رضى الله عنه هو أول من قال فى حق البارى سبحانه : من وصف البارى فقد حده ومن حده فقد عده .

فظاهر هذه الآيات لا تنافى التنزيه كما أوضحنا وبهذا تصبح الخلافات شكلية نسبية .

الأمر الذى سنوضحه فى كتابنا « قضايا نسبية فى الإسلام » .

أما نقد الصحابة فقد أشبعت هذه القضية توضيحاً وشرحاً فى مقدمتنا لكتاب الأستاذ أسد حيدر تحت عنوان : « الصحابة فى نظر الشيعة الإمامية »[1] .

---

١ ــ هذا الموضوع ذكره العلامة الأستاذ الشيخ أسد حيدر فى كتابه الخالد : « الامام الصادق والمذاهب الأربعة » ولعل الله يوفقنا للقيام بنشره إن شاء الله .

وقد أثبت فى هذه المقدمة أن الإمامية يقدمون المنهج العلمى على المنهج الأخلاقى شأنهم فى ذلك شأن تلاميذهم من المعتزلة بينما يؤثر أهل السنة المنهج الأخلاقى ويقولون : بعدالة الصحابة جميعاً وأن بساطهم مطوى .

والحق الذى نراه أننا نقر من كلام السادة الامامية نقد الأفعال والسياسة أما أفعال القلوب ودرجة الايمان فإنها من شأن العليم الخبير وحده .

وقد نهى النبى عن إرسال الأحكام بالمدح أو الذم بقوله ـ فيما جاء من معنى الحديث لا تحكموا على أحد حتى تعلموا بما يختم له.

ومحتوى الحديث كله نهى عن الحكم على مافى قلوب أصحابه اللهم إلا من جاء النص دالا على نفاقهم أو خروجهم عن ربقة الاسلام .

وحديث المؤلف عن أفضلية الامام على على سائر الصحابة من الأقوال المأثورة عن أكثر الراسخين فى العلم والعارفين بأحاديث المناقب .

وقد أحصيت أكثر من مائة وثلاثين حديثاً فى مناقب الامام .

وموضوع الاختبار والجبر ، وهل الانسان مخير أم مسير ؟ قضية لا تمس كرامة المعتدلين من الشيعة الامامية من أتباع الامام الصادق .

كما لا تمس كرامة المعتدلين من أهل السنة . وإنما تمس المعتزلة وحدهم القائلين بأن الانسان يقدر أفعاله أى يخلقها ولا دخل لله فيها وهم الذين نعتهم النبى بقوله : « مجوس هذه الأمة » .

بخلاف المعتدلين من أهل السنة .

والمعتدلين من الشيعة فأهل السنة يقولون بالجزء الاختيارى ، والشيعة يذهبون مذهب جدنا الامام الصادق سلام الله عليه :

لا جبر ولا اختيار ولكن منزلة بين المنزلتين .

وهذا هو الصواب بخلاف المتطرفين من أهل السنة الذين هم فى عداد الجبرية وبخلاف المتطرفين من الشيعة الذين هم فى عداد القدرية أو المعتزله الذين يقولون بخلق أفعال أنفسهم .

وبذلك ارتفع النزاع فى قضية الجبر والاختيار عند المعتدلين من شتى الأمة .

وقضية أخرى من أعوص القضايا التى تنازع فيها الفريقان . ونعنى بذلك الأحاديث التى تخالف ظاهر المعقول كالتى فيها معنى التجسيم أو رؤية الانسان لله فى الجنة بعينى رأسه أو الأحاديث التى يناقض ظاهرها ظاهر الاحاديث الأخرى أو الاحاديث التى تدل على سهوه عليه السلام كحديث ذى اليدين ، فإن ذلك ونحوه لا يمثل خلافاً حقيقياً بين الفريقين .

لأن أحاديث النبى أعمق من أن تصدر فيها الأحكام السريعة .

فأما الأحاديث التى فى ظاهرها التجسيم فإنه قصد بها التصوير والتوضيح إن صح سندها .

والأحاديث الدالة على رؤية الله ، الجنة تؤول أن المقصود هو رؤية البصيرة لا الباصرة ورؤية التجلى لا رؤية الاحاطة .

وقد أوضحنا ذلك فى كتابنا « الإسراء والمعراج » .

والأحاديث الدالة على جواز السهو على الرسول المقصود بها التشريع وتعليم أصحابه .

وهذا ماتؤيده فلسفة التربية على ما أوضحناه فى غير هذا المكان حتى قال

بعضهم قد ينسى أو ينسى ليشرع وليس للنسيان فى ذاته . لأن المعصوم لا يوصف بالنسيان إلا من زاوية خلق المناسبة ليشرع.

وأما الأحاديث المتناقضة فإن مافيها من تناقض يعتبر تناقضاً ظاهرياً كحديث مزمارة الشيطان المروى عن عائشة وحديث دعاء النبى على من ينشد ضالته فى المسجد .

فالأول قصد به إدخال السرور على الأسرة .

والثانى قصد به النهى عن الاشتغال بغير العبادة فى الأماكن المخصصة للصلاة .

وفى ختام هذه الكلمة أحب أن أشيد المؤلف مهنئاً فيما بسطه من نقده لفلسفة القياس فى الفقه الإسلامى . ولا يزعجنى فى شىء أنى حنفى المذهب وأن الذى تناوله المؤلف بالنقد هو الإمام أبو حنيفة النعمان وهو تلميذ جدنا الإمام الصادق رضى الله عنه .

فما أحسب شيئاً وفق فيه المؤلف كتوفيقه فى استعراض هذه القضية فى صورة موضوعية .

وحقاً ما قاله أن الدين لا يؤخذ بالقياس ، وأن جميع من قاسوا من أهل الشرائع السماوية كان مآلهم الخطأ فيما اجتهدوا فيه .

فقد قاس آدم عليه السلام فأخطأ حين قاس عدم القضاء فى الصوم على عدم القضاء فى الصلاة حين سألته حواء . وحين قاس إبليس خلقه من نار بخلق آدم من طين ففضل نفسه عليه .

وحين أوضح الامام الصادق بطلان القياس فى الفقه بدليل أن الله قبل فى قتل النفس شهادة شاهدين ولم يقبل فى الزنا إلا شهادة أربعة .

فأنى يقوم القياس مع أن جريمة القتل أعظم من جريمة الزنا .

فإن هذه المسائل من المسلمات المروية عن الصادق فى بطلان القياس .

وأن منهج الدين الصحيح هو التسليم والاتباع وليس القياس والابتداع .

والحق أن القياس لا يصح إلا عند فقدان النص . وهو نادر والنادر لا حكم له .

أما فيما يتعلق برواية أبى هريرة ونعت أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة يسيرون على غير هدى[1] .

فإن لنا على المؤلف الجليل عتباً . ونحن فى هذا المجال نعمل على لم الشعث وأخذ المسائل أخذاً هينا ميسراً حتى نرأب الصدع ونزيل الحواجز . والحمد لله الذى جعلنا أهل رتق ولم يجعلنا أهل فتق، والمستقبل كفيل باتمام هذا الشوط من الدهوة إلى التقريب فى صورة علمية مقنعة تزيل كل مافى النفس من رواسب الماضى التى أحدثها المفرقون بين شقى هذه الأمة ، وكلنا رجاء أن يتم هذا البناء ويتوحد هذا الصف حتى لا نقع فى أحبولة قوله عليه السلام من شذ شذ فى النار » ، والله من وراء القصد .

القاهرة : (فى ١٩٧٨/٨/٥)

الدكتور حامد حفنى داود
واضع أسس
المنهج العلمى الحديث - بالقاهرة
ورئيس قسم الأدب العربى فى جامعة عين شمس

---

١ — « الشيعة الإمامية » . ص ٦٧

محمد صادق الصدرات

الشيعة الإمامية

نقد لما أورده خصوم الشيعة الإمامية فى كتبهم وآثارهم

قدم له

الدكتور حامد حفنى داود

أستاذ كرسى الأدب العربى ورئيس قسم اللغة العربية
بجامعة عين شمس - القاهرة
وأستاذ الأدب العباسى بجامعة الجزائر حالياً

راجعه وعلق عليه

السيد مرتضى الرضوى

مؤلف كتاب مع رجال الفكر فى القاهرة

مطبوعات النجاح بالقاهرة

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين .

التاريخ مرآة رقى البشر ، والمؤرخ هو صاحب تلك المرآة الصافية الذى يرينا ماينطبع عليها من الآثار التى تصور لنا عقلية أفراد ذلك الشعب أجمل تصوير ، وتمثل لنا نفسياتهم أحسن تمثيل .

فالتاريخ هو الذى يصف لنا الأمم والشعوب ، وهو الذى يقص علينا أخبار الماضى ، وهو الذى يعطينا صورة ملموسة عما وصلوا إليه من الرقى أو السقوط ، وما اتصفوا به من حيث السياسة أو الدين أو الأدب ، أو غير ذلك مما يتحفنا به كل حين كلما استعرضنا حوادثه ، أو قلبنا صفحاته .

وليس شىء أعم فائدة من التاريخ إذا كان المؤرخ أمينا يحدث بصدق ، وينقل برؤية وتثبت ، ويكتب بقلم نزيه ، يورد الأشياء كما هى من غير مازيادة ولا نقصان .

لقد اجتمع على المؤرخ فى الزمن الغابر عوامل فعاله قضت عليه أن يأتى بالحقائق هو جاء شوهاء .

١ـ العواطف الدينية أو قل العصبية الذميمة، فلقد شوهت وجه الحق، وجعلت الحقائق تستشهد على مجزرة العواطف ، فقد كنت ترى المؤرخ لا يسوق لنا قضية إلا إذا كانت شاهداً على رأيه ،ولا يأتينا بشىء إلا ما كان مدعماً ومؤيداً لمذهبه ، فهو إذاً لا يبحث عن صحة السند ، وإنما يبحث عما يوافق ميوله ، ويتمشى مع رغباته .

فهو دوماً يستغل القصص ، ويتحل الأحاديث إذا ما أعوزه الأمر .

٢ – لما رأى بنو أمية ، وملوك بني العباس أن ليس لهم ميزات ترفع منزلتهم بين الناس ، كما لبني هاشم رهط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأولى الناس بالخلافة من بعده ، أكثروا العطاء عندئذ للشعراء ، وحملوا كثيراً من علماء السوء – بما بذلوا لهم من الأصفر الرنان – على مدحهم ووضع الأحاديث فيمن يحبون ، لتؤمن بهم العامة وليخفوا ما كانت تحويه ضمائرهم من المعتقدات الفاسدة التي ترفضها التعاليم الإسلامية الحقة كل الرفض .

٣ – عدم الوسائط الكافية لحفظ الوقائع والحوادث ، فلم يكن ثمة مطابع تقيد الحوادث كما هو في العصر الحاضر ، بل لم يكن التدوين مستعملا إلا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك كانوا يضطرون أن يعتمدوا على محفوظاتهم ، وما وعته صدورهم ، ولا يخفى ما في ذلك من المصاعب والمشاق ، وما يقع فيه من الاشتباه والحيف .

وإن ما نشاهده اليوم لشاهد صدق على ما أقول ، فإنك لتشاهد حادثة ، ويشاهدها غيرك فتنقلها بصورة ، ثم ينقلها الغير بصورة أخرى وهكذا إلى أن تتناقض الصور وتكون كل منها صورة برأسها .

فهذه عوامل ومؤثرات قد ذهبت برونق التاريخ ، وجعلت أفقه مغبراً ، وصفحته سوداء حتى انسدت الطرق بوجه الباحث ، وكاد أن لا يميز بين الصحيح والسقيم .

ولا أخالني مبالغا أن قلت لو غربلنا التاريخ الإسلامي القديم ، ووضعناه على محك النقد لبقي بين أيدينا النزر اليسير .

والذي يهون الخطب قيام بعض الغيارى من الباحثين الذين أخذوا على عاتقهم نقد التاريخ وتخلية الأحاديث ، فإنهم هم الذين مهدوا لنا الطرق ،

ووضعوا لنا قواعد مرعية استطعنا بواسطتها معرفة الصحيح من السقيم والقوى من الضعيف .

هذه هي حالة التاريخ في العصر الغابر ما عرفت من الغموض ، والخبط والخلط ، وأما في العصر الحاضر فليس ثمة ما يدعو إلى ذلك فقد كثرت فيه المطابع ، وسطعت الحقائق ، كما وإن الإنسان قد خرج من عصر الظلم والجور إلى عصر النور ، يستنشق أريج الحرية الفياح ، ويستعرض نسماتها العذبة ، قد منح حرية الرأي والتفكير ، فهو يكتب ما يوحي إليه ضميره ، ويبرز ما يؤدي إليه فكره كما يشاء أو يشاء له الحق من غير أن يسيطر على قلمه مسيطر ، أو يعترض طريقه معترض .

ولكن بالرغم من ذلك كله تجد الليلة أخت البارحة ، فإنك ترى الكاتبين — وهم في هذا العصر — يرتأون ما ارتأى أولئك ، يفكرون بما يفكرون ، ويتذوقون ما يتذوقون كأنما قد حلت أرواح أولئك في أجسادهم ، وتقمصت في أثوابهم فقيدت أفكارهم بسلاسل الجمود بالرغم مما يتظاهرون به من الحرية في البحث ، والتحليل من تلك القيود ، والتخلص من هاتيك الأغلال التي لا تزال في أعناقهم .

بل زاد الكاتبون اليوم على أسلافهم ، فإنك لتراهم يفاجئوننا بين كل آونة وأخرى بآراء ونظريات لا يعرفها جهابذة التعصب في تلك الأعصر المظلمة .

فهم يزرقون سمومهم القتالة بين طيات أبحاثهم التي صبغوها بلون من العلم والفلسفة ، ويضعون بين يديك نظرياتهم . ونتائج أفكارهم كأنها حقائق تاريخية راهنة ، وكأنها كتبت مجردة عن كل عاطفة ، ويسوقون لك القضايا السامة كأنها قضايا مسلمة اجتمعت عليها الآراء ، وتصافقت على الأخذ بها يد التسليم .

فإنك ترى الرافعي يصدر على الشيعة حكمه في كتابه تحت راية القرآن، بالكفر وانه وطه حسين عثمان في إسقاط كل منهما الإيمان من حسابه وترى أحمد أمين الأستاذ في الجامعة المصرية يضرب على هذا الوتر ،

ولكنه بنغمة أخرى، وبأسلوب آخر من الكلام ، فهو يخرج لنا نظرياته وآراءه حول الشيعة باسم الفلسفة الحديثة، وباسم التمحيص في البحث فيقول : (١)

« والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ، ونصرانية، وزراد شتيه، وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده، والخروج على المملكة، فاليهودية ظهرت بالتشيع بالقول في الرجعة وقال الشيعة : إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلا كما قال اليهود : لن تمسسنا النار إلا أياماً معدودات ، والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : إن نسبة الأمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وقالوا : إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام، وأن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي ، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح ، وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام ».

ولا غرابة إذا ماشاهدنا أحمد أمين ومن رأى رأيه يخرجون لنا أمثال هذه النظريات الفاسدة ، مادام أسلافهم قد مهدوا لهم هذه الطرق ، وعبدوا لهم هاتيك السبل التي اسست للقضاء على الشيعة ومعتقداتها ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون .

نعم لاغرابة في كل مايلصقونه بهذه الطائفة من التهم الكاذبة مادامو ا يرون الشيخ نوح الحنفي - وهو من أكابر علمائهم - يقول في باب

---

(١) فجر الإسلام ص ٣٣٠ الطبعة الأولى

الردة والتعزير من كتابه « الفتاوى الحامدية » إعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة، والبغاة الفجرة، جمعوا بين أصناف الكفر والبغى والعناد، وأنواع الفسق والزندقة والإلحاد، ومن توقف فى كفرهم وإلحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم الخ »[1] وقد حدث من جراء هذه الفتوى أن نهبت أموال الشيعة فى حلب وسبيت نساؤهم وقتل منهم ثمانون ألفاً من غير ذنب أو جريرة اللهم إلا محبتهم لأهل البيت الطاهر الذين أوجب الله تعالى مودتهم فى محكم كتابه العزيز .

هذا بعض ماعنيت به هذه الطائفة ، وبعض ماقاسته من هؤلاء النصابين، وما هذه الكلمات التى وضعتها بين يديك الأقل من كثر مما تكلموا به حول الشيعة .

وما كانت الشيعة لتغفل عن هذا كله غير أنها كانت تحمل أغلب كلمات القدماء القارصة على أنها وليدة الظروف القاسية التى كانت تدفعهم إلى المغالطة والتورية فى كثير من الأحايين حفظا لأنفسهم ، وإتقاء من شر السلطة الحاكمة يومذاك .

وما كانت لتحسب أن فى القرن الرابع عشر ، وفى عصر النور من يفحص عن آراء قد عفت عليها الأيام وأماتتها السنون :

وقد كنت أفكر وأفكر كثيراً فى وضع كتاب فى الشيعة أبين فيه للملأ

---

(١) ذكر هذه الفتوى سيدنا الخال الأعظم حجة الإسلام الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوى علامة جبل عامل الأكبر فى كتابه الجليل « الفصول المهمة فى تأليف الأمة » ص ١٣٠ وقد رده رداً بليغاً بأبلغ مايتصور، شأنه فى كل موضوع يطرقه فجدير بالباحثين أن لاتفوتهم فوائده طبع فى القاهرة عام ١٢٨٧ هـ بمطبعة دار المعلم وهو من مطبوعات النجاح بالقاهرة .

الشاعر مكانتها السامية ، وأعرفه بعقائدها ، وسائر مايتعلق بحياتها الدينية ، وألم بهذه الناحية إلماما يستطيع المطالع من ذلك أن يعرف أحقية مذهبها ، وصحة معتقداتها .

وقد كانت هذه الفكرة تتجسم شيئا فشيئاً كلما سمعت ، أو قرأت مالا يليق بمقام الشيعة السامى من النسب الكاذبة التى تشوه سمعتها ، وتخرجها للناس صورة تخالف الأصل كل المخالفة ، وقد كنت أرى لزاماً على أن أقوم بهذا العبء مهما صادفت فى سبيل ذلك من المتاعب والمشاق ، وقد جاء بحمده تعالى صورة صادقة عن آراء الشيعة ومعتقداتها .

وقد تناولت البحث بكل تحفظ وتثبت شأن الباحث الأمين ولم أحد قيد اظفور عن جادة الحق المستقيمة ، وقد أخذت على عاتقى القيام بهذا العمل الخطير من غير أن أعول على أى كتاب من كتب الشيعة القيمة ليتحقق القارىء الكريم أن هذه الطائفة قد بلغت من الحق درجة سامية تخولها قيام الآف الشواهد على صحة مذهبها من كتب خصومها المعتبرة ، والحق أن هذه الظاهرة هى إحدى مميزات هذه الفرقة التى تذكر مصحوبة بكل أعجاب وإكبار .

وقد شرعت فى تأليف هذا الكتاب وأنا متجرد عن كل عاطفة دينية كانت أو عنصرية ولكن - ولا شك - سوف يجدنى المطالع شيعيا عربيا ، وسوف يجد الروح الشيعية متجلية بأجلى مظاهرها فى سائر فصول الكتاب وأنى أقول لئن عثر الباحث غضون بحوث كتابى هذا على مايعضد رأيى ، ويؤيد مذهبى فليس ذلك استسلاما للعاطفة ، وتمسكا بأهداب العصبية الذميمة التى أمقتها كل المقت وإنما هو الحق تجلى لناظرى فاتبعته والحق أحق أن يتبع .

ولا أكتم القارىء الكريم أن فى كتابى من الحقائق مايثقل حملها على

الكثيرين ، وما الجاني إلى الأصحار بها إلا أحد أمين وأمثاله ، ولا أخالك الأعاذري بعد الاطلاع على كلماتهم .

وبكل صراحة أقول لئن لج أحمد أمين ومن لف لفه في طغيانهم ولم يغيروا شيئا من خطتهم لو لجنا مثلهم باب المهاجمة بدلا عن اتخاذ خطة المدافعة ، ولأزحنا الستار عن كل ماهنا لك ولقد أعذر من أنذر والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى .

النجف الأشرف ـ العراق المؤلف

- ١ -

إفتراق الأمة الإسلامية

الاختلاف غريزة من غرائز الأمة العربية ، ورثها الأحداد الآباء ، وخلفها الآباء للأبناء يتوارثونها جيلا بعد جيل ، ويأخذونها قبيلا عن قبيل سلسلة واحدة ، متصلة الحلقات مترامية الاطراف .

فالاختلاف كان قبل الإسلام سائداً فى جزيرة العرب ، ضارباً اطنابه فوق الشعاب والهضاب ، مرفرفاً بجناحيه على السهل والحزن ، داخلا كل بيت من بيوتات العرب طيلة تلك الاعصر المظلمة ، وهكذا ظل يتغلغل فى أحشاء الأمة العربية وينتقل هنا وهناك ، يدخل بين المنحنيات والمنعرجات ويسلك خلال الفجوات والثغور حتى سطع ذلك النور الآلهى من غار حراء فطبق الأصقاع ، وعم كافة الارجاء ، فانجابت عندئذ غياهب العماية ، وتقشعت ظلم الجهل ، وتجلى الحق ، واندحر الباطل ، وانتشر العدل بين هاتيك الشعوب ، وانبثت روح المفاداة والمساواة وانضوى الكل تحت راية الأمن ولواء السلام.

وفى الحق أن الأمة الاسلامية دخلت بفضل مرشدها الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى دور جديد من الحياة لا عهد لها به من قبل ، وتبوأت مقعداً عليا بنفسها عليه سائر الأمم وبلغت من الاتفاق والتضحية درجة متناهية ترجع الطرف يائساً ، واللسان متلعثماً ، وتضطر الكاتب القدير لأن يقف وأجما حائراً يدل على جلال الموقف باشخاص بصره ، ويكتفى عن وصف تلك الظاهرة التى امتازت بها الأمة الإسلامية بخضوعه وخشوعه ، ولربما يترك هذا الخطيب الصامت بخطبته الخرساء اثراً عظيما فى النفوس يتقاعس دونه الخطيب المفوه مهما أجهد نفسه فى تحريك العواطف والشعور بخطبته الناطقة الساحرة .

حالها بعد وفاة النبي ﷺ

لم يقبض النبي ﷺ ولم يلحق بالرفيق الأعلى حتى تضاءلت تلك الروح واكفهر الجو، وتكدر الصفو، واضطرمت نيران الفتن، واختلفت الآراء، وتشتت الأهواء، وتجملت المطامع، وبدت كوامن الصدور، «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ»[1]

فقد المسلمون النبي ﷺ فأحسّوا بحاجة الموقف، وعلموا جميعاً أنهم في حاجة ماسة إلى رجل يقوم بأعباء الخلافة، ويتعهد أمور المسلمين، يبين لهم الأحكام، ويرشدهم إلى الطرق الصالحة التي تعود عليهم بالنفع من حيث المعاش والمعاد، غير أنه تضاربت الآراء، واشتد النزاع والخصام في ذلك الرجل الذي يصلح لأن يتربع على دست الحكم، ويستحق أن يتسنم أريكة الخلافة فحدثت عندئذ ثلاث فكر.

١ ـ تخصيص الخلافة ببني هاشم وخاصة في أمير المؤمنين علي عليه السلام، لسبقه إلى الإسلام ولقرابته من رسول الله ﷺ وزهده، وعلمه وشجاعته، ولاشتماله على صفات كثيرة استأثر بها ولم توجد في غيره من سائر الصحابة، وهم يعتقدون أن هذا التخصيص لم يكن من تلقاء أنفسهم، بل كان بأمر منه تعالى، ورضا من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيمر عليك قريبا تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى وأصحاب هذه النظرية هم الشيعة يقود هذا الرأي بنو هاشم وجملة من الصحابة على رأسهم المقداد، وعمار وأبو ذر الغفاري وسلمان وهم يرون أمير المؤمنين علياً أماماً مفترض الطاعة وخليفة الرسول بلا فصل، يجب متابعته، ولا يسوغ التخلف عن بيعته.

٢ ـ تخصيصها بالبيت القرشي على اختلاف بطونه، ويروون تأييداً

---

١ ـ آل عمران: ١٤٤.

لهذه النظرية قول النبي ﷺ « الأئمة من قريش» وباعث هذه الفكرة أبوبكر وعمر (رض) ولم يكن لديهم حجة يدلون بها أمام الأنصار سوى أنتسابهم إلى قريش وقد قال أبو بكر « رض »: « ونحن عشيرة رسول الله ﷺ وأوسط العرب أنسابا ، ليس من قبـــائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة »وقال من جملة كلام له « فهم أى قريش - أوّل من عبد الله فى الأرض وهم أول من آمن برسول الله ﷺ وهم أولياؤه وعترته ، وأحق الناس بالأمر بعده لاينازعهم فيه إلا ظالم، وقد سأل أمير المؤمنين على عليه السلام عن حجة قريش التى تغلبوا بهـا على الأنصار فقيل له عليه السلام إحتجت بأنهـــا شجرة الرسول ﷺ فقـال سلام الله عليه « احتجوا بالشجرة ،وأضاعوا الثمرة .

٣ ــ عـدم تخصيص الخلافة ببيت من البيوت وصاحب هـذا الرأى الأنصار وهم يرون أنهم أحق بالخلافة لمـا كان لهم من الفضل فى تأييد الدين ، ونصرة الرسول ﷺ وسبقهم إلى الإسلام .

وقد استمد من هذه الفكرة الخوارج فقالوا:إن الامامة تصلح فى أفناء الناس كلهم من كان منهم قائما بالكتاب والسنة عالما بهما مستدلين على هذا التعميم بقوله تعالى « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » بل توسعت النجدية منهم فقالت:الأمة غير محتاجة إلى الإمام ، ولا لغيره وإنما علينا وعلى الناس أن نقيم كتاب الله فيما بيننا غير أن فكرة عدم التخصيص ببيت من البيوت لم تلق رواجاً إذ أن الأمة الإسلامية جمعاء متفقة على تخصيص الخلافة بقريش وإن اختلفت من حيث التخصيص والتعميم .

هذه الفكر الثلاث هى التى كانت تحوم حولها الأفكار ، وتدور عليها الألسنة بعد وفاة رسول الله ﷺ وما فارقت نفسه الزكية هذه الدنيا حتى اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة يتداولون فى أمر الخلافة الإسلامية ،

وما أن عرف أبو بكر وعمر ، رض ، فى هـــذا الإجتماع حتى هرعا إلى القوم ، وتركا النبي ﷺ مسجى على سريره لما يغسل ، وجسمه الشريف لما يوار ، وعندما وصلا أراد عمر التكلم فكفه أبو بكر ثم تكلم كلاما يذكر فيه فضل قريش واحقيتهـــا للخلافة ، ثم جرى حوار طويل بين قريش والأنصار وكل منهما يذكر مآثره ، ويعدد فضائله ، وحينما شاهد بشير بن سعيد الخزرجي ما أجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد ـ وكان حاسدا له ، وكان من سادة الخزرج ـ حتى قام فقال : « أيها الأنصار أنا وإن كنا ذوى سابقة ، فإنا لم نرد بجهادنا وإسلامنا إلا رضا ربنـا ، وطاعة نبينا ﷺ ولا ينبغى أن نستطيل بذلك على الناس ، ولا نبتغى به عرضا من الدنيا ، إن محمداً ﷺ رجل من قريش ، وقومه أحق بميراث أمره ، وأيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر ، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم ».

وهنا رأى أبو بكر « رض » ـ بعد قول بشير ـ فرصة سانحة للدعوة للخلافة فقال : ـ وهو يعلم أنهما لا يقدمان ـ « هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم ، فامتنعا أن تكون لهما البيعة دون أبى بكر « رض » فاسرع عمر « رض » لمبايعته لأنه يعـــلم يقينا أن أبا بكر سوف يوصى له بها ، ويسندها إليه قبل وفاته[1] ، ويدلنا على ذلك قول أمير المؤمنين على عليه السلام له:

---

١ ـ قال الاستاذ الكبير أحمد الشرباصى : لقد وقف عمر فى المسجد يعرض كتاب أبى بكر فقام أحد الحاضرين وقال له : أتعلم ما فيه ياعمر ؟ قال : لا قال « ولاك أبو بكر هذا العام ، وولايته عام أول » فلم يتقاصر فرد من القوم أن يصرح بما فى نفسه . . . وأنجلى الامر عن أن عمر تلى كتاب : استخلافه من أبى بكر . . . راجع مجلة « لواء الإسلام » القاهرية ص ٣٨٧ ، السنة ١٤ العدد ٦ « الناشر »

« إحلب ياعمر حلبـــا لك شطره ، اشدد له اليوم أمره ليرده عليك غدا »[1]

وإنا لا نرى سراً لهذا النجاح الباهر الذى فاز به أبو بكر إلا أمرين

١ ـ اشتغال أمير المؤمنين على (عليه السلام) بتجهيز الرسول ﷺ وعدم حضوره السقيفة ، ويدلنا على ذلك ندم[2] كثير من الأنصار على بيعة أبى بكر « رض » ولوم بعضهم بعضا وهتافهم باسم أمير المؤمنين على عليه السلام ، وبناء عامة المهاجرين والأنصار على أن عليا هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ كما يحدثنا به العلامة المعتزلى[3]

وقد قال زيد بن أرقم لما تعاتب هو وعبد الرحمن بن عوف « وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر ـ أى فى يوم السقيفة ـ لم ينازعه فيه أحد على بن أبى طالب ، فهذا وأمثاله يعطينا صورة صادقة عن عظمة أمير المؤمنين على « عليه السلام » ويبين لنا جليا مكانته السامية فى نفوس الناس مما يجعلنا نعتقـــد أن عدم حضوره فى السقيفة كان المساعد الأكبر لتولى أبى بكر الخلافة ؛

وقد كان أمير المؤمنين على عليه السلام يقول عند ما سمع قول الأنصار للزهراء عليها السلام لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا عنه « أكنت أترك رسول الله ﷺ ميتا فى بيته لا اجهزه ، وأخرج إلى الناس أنازعهم فى سلطانه » فأنت ترى منه عليه السلام أن حصوله على الخلافة متوقف على تركه لرسول الله ﷺ وهيهات هيهات أن يصدر منه ذلك فإنه أبر واتقى من أن يترك رسول الله

(١) الامامة والسياسة ١ ـ ١٢ ط مصر شرح النهج لابن أبى الحديد ٢ ـ ٥ ط مصر الأولى وراجع كتابنا « مع رجال الفكر فى القاهرة » الطبعة الرابعة بمصر قسم التعليقات تحت عنوان : الاتفاق السرى الثلاثى فى عهد الرسول ﷺ « الناشر »

٢ ـ شرح النهج الحديدى ٢ ٩ الطبعة الاولى بمصر

٣ ـ المصدر نفسه ٢ ٨ الطبعة الاولى ـ بمصر

ﷺ وحيداً ثم يذهب ينازع الناس فى تراثه الذى خلفه ، وسلطانه الذى أبقاه .

٢ – الأختلاف الذى كان سائداً بين الأوس والخروج فإن الأوس ما بايعت أبا بكر ألا بغضاً لسعد وقد كان يقول بعضهم للآخر « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً » .

لهذين السببين وغيرهما تمكن أبو بكر – وهو من تيم – أن يتربع على تلك المنصة اللينة ويسوق العرب بعصاه والله در الفقيد شوقى بك شاعر مصر حيث يقول فى أبى بكر « رض » من أرجوزته :

سبحان من ينعم كيف شاء ساس الورى من كان يرعى الشاء

وقد حدث من جراء هاتيك الخلافات انقسام الأمة الأسلامية أقساماً ، وتفرقها شيعاً ، وكل فرقة منها تفسق الأخرى ، ويكفر بعضها بعضاً .

أمهات الفرق الإسلامية:

أمهات الفرق أربعة : الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة وأما باقى الفرق الأخر فانها تتفرع عنها وتستقى وإياها من نبع واحد على الأغلب ، ونحن نتكلم الآن كلمة إجمالية عن هذه الفرق الأسلامية ، ونحيل المطالع على أصنافها التى تتفرع عنها إلى كتب الملل والنحل فإنها تقوم بهذه المهمة ، ولا تحيجنا إلى تضخم البحث.

١ – الشيعة

وستعرف الشىء الكثير عنها فى هذا الكتاب فلا حاجة إلى ذكرها الآن .

٢ – الخوارج

وسموا بذلك لخروجهم على أمير المؤمنين على عليه السلام ، ويسمون أيضاً بالحرورية لوقعة حرور ، وهذه الطائفة من الفرق التى مرقت من الدين الإسلامى لخروجها على أمام زمانها ، وقد صح عنه ﷺ أنه أخبر فى

حياته الشريفة عن خروجها من الدين لئلا يغتر المسلمون بكثرة عباداتها ووفرة تسبيحها ؛ وشدة ملازمتها لقراءة القرآن الكريم، ووصف لهم حالها تفصيلا يختلط عليهم الحابل بالنابل . وأبان لهم أن الفرقة التى تقتلهم هى التى تكون مع الحق لئلا يشتبه لديهم الحق بالباطل فهذا مسلم يحدثنا فى صحيحه فيقول[1] : — بعد أن ذكر أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام ، أرسل وهو فى اليمن لرسول الله ﷺ ذهبة فى تربتها وأنه قسمها بين أربعة — جاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين، غائر العينين ، ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد قال رسول الله ﷺ فمن يطع الله إن عصيته ايؤمننى على أهل الأرض ، ولا تؤمنونى قال ثم أدبر فاستأذن رجل من القوم فى قتله يرون أنه خالد بن الوليد فقال رسول الله ﷺ إن من ضئضئ هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، ويقول ﷺ من رواية أخرى : آيتهم رجل أسود ، إحدى عضديه مثل ثدى المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس ، قال أبو سعيد فأشهد أنى سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتى به ، حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ ، وفى رواية أخرى ،أنه صلى عليه و آله وسلم ذكر قوما يخرجون على فرقة من الناس سيماهم التحالق قال : هم شر الخلق ، أو من شر الخلق تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق ثم قال لهم بعد ما مثل خروجهم من الدين — وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق) وفى صحيح مسلم روايات كثيرة فى هذا المضمون فليرجع إليها من شاء .

---

١ — صحيح مسلم ١ — ٣٩٣ المطبوع سنة ١٣٢٧ وكل ما ننقله عن صحيح مسلم فهو عن هذه النسخة . — المؤلف —

هذه الفرقة كانت من أنصار أمير المؤمنين (ع) . وممن يقول بإمامته ، ووجوب طاعته غير أنها ضلت الطريق ، وتنكبت عن جادة الحق بعد وقوع التحكيم .

أن عمراً بن العاص لما شاهد الظفر بادياً على جيش أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أمر برفع المصاحف حيث قد علم — بما شاهد من أخلاق الجيش — أن المصاحف إن لم ترجع عليهم بالفائدة المطلوبة . فعلى الأقل توجب الفوضى في الرأي ؛ والاختلاف في قبول الصلح وعدمه ، لذلك رفعوها على رؤوس الرماح ، وتقدم أحدهم ينادي قائلا :

هذا كتاب الله عز و جل بيننا وبينكم ، من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ من لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ؟ وما أن سمع العراقيون هذا النداء وشاهدوا المصاحف مرفوعة حتى قال قائلهم : نجيب إلى كتاب الله غير أن أمير المؤمنين (عليه السلام) علم أنها مكيدة أهل الشام فحذرهم قائلا : « يا عباد الله أمضوا على حقكم ، وصدقكم ، فإن معاوية ، وعمرو بن العاص وابن مبيط ، وحبيب بن سلمة ، وابن مرح ، والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ؛ ولا قرآن ، أنا أعرف بهم منكم ، قد صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال ، وشر رجال ، ويحكم أنهم ما رفعوها ، ثم لا يرفعونها ، ولا يعملون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ، ودهاء ومكيدة ، ولكنهم لم يصغوا لكلامه (عليه السلام) ولم يعملوا بنصائحه الثمينة فجابهوه قائلين: « ما يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله عز وجل فنأبى أن نقبله ، بل تجترأ عليه بعضهم فقال : « أجب إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا ندفعك برمتك إلى القوم ، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان ، أنه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل ، والله لتفعلنها ولنفعلنها بك» وهنا أحس أمير المؤمنين « عليه السلام » بالخطر المحدق به فتردد بين أمرين إما أن

لا يقبل التحكيم فيقتل ، أو يدفع إلى القوم ؛ وإما أن ينزل عند حكمهم فيرضى بالتحكيم مع علمه بأنه سيفتح عن قريب ، وإنه لا حاجة له للتحكيم لأنه على بينة من أمره ولكنه محافظة على نفسه الشريفة خضع لهذا التحكيم على كره منه ، فكان ما كان من النتائج السيئة ، فقد غدر أبو موسى الاشعرى الذى لم يرتضه على (عليه السلام) وبين لهم حاله قبل التحكيم ، ورجع الخوارج عن التحكيم وقالوا كان منا كفر ، وقد كان كل منهم يردد قوله « لا حكم إلا لله » ، وهي لعمر الحق كلمة حق أريد بها باطل كما قال عليه السلام :

وقد أجابهم سلام الله عليه عن مسألة تحكيم الرجال لما قالوا له خبرنا اتراه عدلا تحكيم الرجال فى الدماء فقال : « أنا لسنا حكمنا الرجال ، إنما حكمنا القرآن ، وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق بلسان وإنما ينطق عنه الرجال بترجمان » قالوا : فخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ، قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ، ولعل الله عز وجل يصلح فى هذه الهدنة هذه الأمة »

ولا أخال أن المطالع سوف يفاجئنا بقوله ما الفائدة فى تحكيم الرجال وتفسيرهم للقرآن ما دام مجملا ، وما دام يمكن لكل من الرجلين أن يفسر الآية بما ينطبق على مذهبه ويوافق ميوله .

إذ لا تصريح فى القرآن الكريم باسم احدهما ليكون قاطعا للشغب ، وحكما فاصلا تتجلى بحكمه الحقائق واضحة ناصعة لا يمكن للخصم إلا الإذعان له ، والنزول على حكمه ؛ نعم :لا أحسب أنه يفاجئنا بذلك فان الخصمين إذا رجعا إلى القرآن العزيز ، وتليا أمثال هذه الآيات البينات « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك » ، وآية : (قل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ، وآية التطهير ، وآية المودة

فى القربى ، وآيات الأبرار ، وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة فى فضل أهل البيت عليهم السلام لتحصحص لديهما الحق ، وعلما لا يقبل الشك أن أمير المؤمنين على « عليه السلام » هو خليفة المسلمين ، والنائب عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم

وإن رجلا نفسه نفس رسول الله ﷺ بنص القرآن المجيد لجدير أن يتبوأ هذا المعقد الكريم ؛ ويتسنم هذا المنصب الإلهى الأقدس واين من هذا المنصب الجليل معاوية ابن آكلة الأكباد .

فاين الثريا واين الثرى وأين معاوية من على

إن الخوارج يعتقدون أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد كفر - والعياذ بالله - برضائه بالتحكيم إذ لا حكم إلا لله وقد عرفت مما تقدم من كلام أمير المؤمنين على « عليه السلام » فى الجواب عن هذه الشبهة أن ذلك ليس تحكيما لرجال لأن الرجال لا يحكمون أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أو معاوية إماما أم لا ليلزم من ذلك تحكيم الرجال ، فان ذلك موكول إلى القرآن المجيد فهو الحكم الفصل فى ذلك ، وإنما يراد من الرجال التحكيم فى تطبيق الصفات المذكورة فى القرآن الكريم فى أنها على أى شخص منهما تكون أصح انطباقا وهذا لا شك أنه وظيفة الرجال إذ أن القرآن الشريف كما قال (عليه السلام) لا ينطق بلسان ، وإنما ينطق عنه الرجال ، وليس هذا عزيز المثال فإن القاضى عندما ترفع إليه قضية السارق مثلا لا يطلب منه أن يحكم بأن السارق هل تقطع يده أم لا ليكون تحكيما ، وإنما يراد منه أن يجتهد فى معرفة أنه هل هو السارق أم لا وذلك بأن ينظر إليه على حسب القواعد والموازين التى بيده كالبينة ، والبينة العادلة التى يمكن بواسطتها إثبات الدعوى فإذا ثبت له صفة السارق ، وجه عليه الحكم الذى شرعه الشارع

وقـــد حمل الخوارج أيضاً تحكيمه « عليه السلام » على الشك بإمامته ، واستنتجوا من ذلك أن الشاك لا يجوز له أن يسفك الدماء المطالبة بأمر مشكوك فى صحته عند نفسه ، وهـذا باطل كسابقه فإنك ترى المتداعيين فى هذا العصر ، وفى غـيره من سائر العصور الأسلامية ، يذهبان للقاضى ، ويلقيان عليـه المسألة مع أن أحدهما لا محالة يقطع أن الحق فى جانبه ، ولـكنه يخضع للحكم ويذهب وإياه للمحاكمة إذا ما شاهـد أن حصوله على حقه منحصر بذلك وهـذا واضح ، ولا أخالنى فى حاجة ماسه إلى أن أطيـل فى بيان جـواز التحكيم بالمعنى الذى ذكرناه مادام القرآن الكريم هو الذى يقر هذا الحكم ، وينادى بصحته حيث يأمر بالتحكيم بين المرأة وزوجها فيقول «وأن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله،وحكماً من أهلها[1]» ، ويقول فى جزاء الصيد « يحكم به ذوا عدل منكم[2] » ، وبالجملة فإن هذه المارقه بنت مذهبها على مقدمات فاسدة ، وواهية للغاية واضحة البطلان لمن له ادنى تأمل فلا نطيل الكلام بتفنيدها ، وبيان جهة فسادها .

٣ ـ المرجئة

وهذه اللفظة مأخوذة من أرجأ بمعنى أخر ، وقـد تكهن الباحثون فى سبب هذه التسمية فبعض يقول: إنما سموا بذلك لأنهم يرجئون أمر أصحاب على عليـه السلام ، وأصحاب معاوية إلى الله تعالى فهو الذى يحكم بينهم يوم القيامة .

وبعض يقول : إنها اشتقت من أرجأ بمعنى بعث الرجاء حيث أنهم يعتقدون أن لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

---

١ ـ سورة آية

٢ ـ سورة آية

وقد احتمل فى تسميتها غير ذلك والأول أظهر .

وقد غالت هذه الطائفة بالإيمان حتى حكمت بدخول المسلم الجنة إذا كان مؤمناً مهما عصى الله تعالى إذ يؤمنون أن دخول الجنة لم يكن بعمله أو طاعته ، وإنما كان بمحبته وإخلاصه له عز شأنه .

وهذه الطائفة لا تشترط فى تحقق الإيمان الاقرار باللسان ، بل تكتفى بانعقاد القلب عليه حتى حملهم ذلك على أن يقولوا بإسلامه ، وإن أعلن الكفر بلسانه ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية ، والنصرانية ، وعبد الصليب وأعلن التثليث فى دار الإسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ، ولى لله عز وجل من أهل الجنة (١) .

٤ - المعتزلة

وقيل : أن سبب تسميتهم بذلك أنهم يقولون أن صاحب الكبيرة اعتزل عن الكافرين والمؤمنين .

وقيل : لأنهم اعتزلوا مجلس حسن البصرى حيث أنهم اختلفوا وإياه فى مرتكب الكبائر فقال : بأنه مؤمن ، ولكنه فاسق بارتكابه الكبائر وقالوا هم : ليس بمؤمن كما يدعيه البصرى ، ولا كافر كما تزعمه الخوارج بل منزلة بين المنزلتين فطرد عندئذ حسن البصرى رئيس المعتزلة واصل بن عطا من مجلسه فاعتزل بعد ذلك عنه فسموا لذلك بالمعتزلة .

وربما يطلق عليهم أهل العدل والتوحيد ، وذلك لأنهم ينزهون الله تعالى عما يقوله الأشاعرة من أن الله قدر الناس على المعاصى ثم عذبهم عليها

---

(١) ابن حزم ٢٠٤ .

ولأنهم يذهبون إلى نفي صفات الله لأنهم يعتقدون: أن القول بذلك يستدعي تعدد الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذا عين ماتذهب إليه الشيعة: وقد كان خصماؤهم من الأشاعرة يطلقون عليهم اسم القدرية ليطبقوا عليهم حديثاً يدعون صحة وروده عنه (ص) وأنه قصد به المعتزلة وهو:

« القدرية مجوس هذه الأمة » والحق أن هذا الحديث إن صح لجدير أن يخصص بالأشاعرة الذين يقولون: بأن القدر يحكم جميع اعمال الانسان من خير وشر إذ أنه هو المتبادر من لفظ القدرية كما هو ظاهر، ولكن مع فرط هذا الظهور لقد استطاع خصومهم أن يلصقوا هذا اللقب بالمعتزلة، ويجعلوه من خواصها حتى صار لها لقباً تمتاز به دون الطوائف الأخرى.

إن الشيعة تقول بمقالة المعتزلة من نفي أن يكون له صفات أزليه من علم وقدرة وحياة وسمع غير ذاته، وهي تذهب أيضاً كذهاب المعتزلة من سلطه العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبح، وهما يعتبران أن الشارع الاقدس لم يجعل الشيء حسنا لأمره به، ولا القبيح قبيحاً لنهيه عنه، بل إنما أمر به، أو نهى عنه لأنه حسن بذاته، أو قبوح بذاته، وهذا بخلاف الأشاعرة فإنهم لا يقولون بالحسن والقبح العقليين وانما يعتقدون أن الحسن ماأمربه الشارع وإن كان العقل يراه قبيحاً وهكذا القول بالقبح.

وحيث اتفقت الشيعة والمعتزلة في كثير من النظريات الاعتقادية التي قام عليها الدليل القطعي ترى بعض الباحثين يخلط أحيانا بين رجال الشيعة والمعتزلة وقد وقع في مثل هذا الخبط في التاريخ أحمد أمين في كتابه

حيث [1] قد عد العلامة المعتزلي ابن ابي الحديد من الشيعة و قال عنه أنه من معتدليهم ، وكأن أحمد أمين لا يرى أن اسم السنى جدير أن يطلق إلا على الناصبي الذي يحرق الأرم على أمير المؤمنين عليه السلام، وأما من كان دون ذلك - كابن أبي الحديد مثلا - فني مذهبه أنه شيعي .

أجل إن هناك فروقا عظيمة ، ونقاط جوهرية تقضي بالتباين بين مذهب الشيعة والمعتزلة ذلك أن الشيعة تعتقدان الإمام أمير المؤمنين عليا عليه السلام خليفة بنص الرسول (ص) والمعتزلة تنكر النص . والشيعة لا يقولون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان، والمعتزلة تقول بخلافتهم ويجعلون علياً رابعهم.

والشيعة تسوق الإمامة إلى اثنى عشر إماما ، والمعتزلة لا يذهبون إلى هذا الرأى إلى غير ذلك من الفروق التى يعرفها المتتبع .

هذه كلمة قدمتها للطالع ربما تكون كافية لاستجلاء الحالة الفوضوية التى سادت الامة الأسلامية ، يوم فقدت زعيمها الأكبر ، ومرشدها الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم :

والحق إن للخلافات الأولى الأثر المحسوس فى بث روح الافتراق بين أفراد الأمة الاسلامية ، فإن تلك النزاعات الدينية العنيفة التى قامت حول الخلافة كانت سببا قويا فى اختلاف الافئدة وتناكر القلوب ،

السبب الأساسى للافتراق

إن العلامة محمد بن عبد الكريم الشهرستانى عندما أخذ يبين الاسباب

---

(١) فجر الاسلام ص ٣١٩ .

(٢)

نظرة تحليلية في المذاهب الإسلامية

لقد أثر عن النبي ﷺ أنه قال « افترقت أمة موسى بعد نبيها على إحدى وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقون في النار

وافترقت أمة عيسى بعد نبيها على اثنين وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقون في النار

وستفترق أمتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقون في النار[1] »

وهذا الحديث النبوي الشريف من الأحاديث المتضافرة ، وقد اتفقت الأمة الإسلامية جمعاء ، على الأخذ به ؛ والاذغان بصحته ، غير أنه قد حصل النزاع والخصام في الفرقة الناجية التي عناها النبي ﷺ في هذا الحديث ، فادعت كل فرقة من الفرق المسلمة أنها هي الفرقة التي حكم النبي ﷺ عليها بالنجاة ، وخصها بهذه الظاهرة من دون الطوائف الأخرى.

والذي يفرضه علينا البحث الآن هو أن نتكلم حول هذا الحديث ونستعرض قليلا من سير المذاهب الإسلامية ، ثم ننظر ما سيمخضه لنا البحث ، فان آنسنا رشدا ، ووجدنا خلال سياحتنا هذه هدى ، ولاح لنا بارق من الحق رجعنا ونحن ظافرون ، قد اقتبسنا الهدى ، واتبعنا الحق ، وما نحن إلا ناشدوا ضالة ، وليس متصور أن يرجع الباحث عن بغيته وقد نشبت أظفاره بها .

---

١ ـ أبيات للامام الشافعي حول هذا الحديث راجع « النصائح الكافية » ـ الناشر ـ

يكن ثمة سبب يدعو إلى هذا الاعتقاد سوى ما يشاهدونه من الآيات الموهمة ذلك فى القرآن الكريم كقوله تعالى « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » وقوله « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » وقوله « بل يداه مبسوطتان » إلى غير ذلك من الآيات التى ربما يغتر بها من ليس لديه من الثروة العلمية ما تخوله تأويل هذه الآيات إلى وجوه تتفق والعقل ، وتناسب عظمة الله وجلاله .

ومن الغريب أنا نرى أبا الفتح الشهرستانى [1] يحدثنا عن بعض سلفه أنهم يحمدون عندما يرون آية ظاهرة فى التشبيه ، ولا يؤولونها حذراً من الزيغ الذى أشار الله تعالى إليه بقوله: « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم » ولأن التأويل أمر مظنون الاتفاق ، والقول فى صفات البارى تعالى بالظن غير جائز ، وقد امتدح الشهرستانى هذه الطريقة ، وقال عنها أنها طريق السلامة :

والذى يقتضيه التحقيق هو : جواز التأويل — بل وجوبه — إذا كانت الآية ظاهرة فى شىء لا يقره العقل ، على أنا لو سلمنا عدم الجواز لتعين مع ذلك أيضا لأن القول بعدم التأويل يستلزم التجسيم وهو مخالف للعقائد الإسلامية الحقة فالذهاب إلى التأويل أقل ضرراً فينحصر القول به لأن ارتكاب أقل المحذورين واجب بحسب الشرع والعرف كما هو مقرر فى فن الفقه .

وقد اتفقت النصرانية والتسنن أيضاً بالقول بأن مع الله تعالى صفات أزلية [2] كالقدرة والعلم ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ،

---

١ ـ الملل والنحل ص : ٧٦

٢ ـ ذكر ذلك أبو الفتح الشهرستانى ص٦٥ من كتابه الملل والنحل .

الإنسان أن ينطق بها وهى قوله: قد غلب عليه الوجع أو «هجر»[1] على اختلاف الروايات فى ذلك حتى استشاط غضبا وأمرهم بالخروج من مجلسه قائلا :

قوموا فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه ، هذه اسئلة بسيطة يستطيع الجواب عنها كل من له أدنى إلمام بالتاريخ الأسلامى.

لاشك قرأت أو طرق سمعك أيها القارىء الكريم ماقاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى يوم الغدير من الكلمات البينات الدالة على خلافة أمير المؤمنين على عليه السلام وما يوم عيد الغدير ببعيد عن طلب الدواة والقرطاس ، وأظنك على ذكر مما قدمناه لك سابقا من طلب النبى ﷺ لعلى عليه السلام للوصاية له كما حدثنا به الحبر ابن عباس[2] ، وصرفه لعمر وأبى بكر عند ما طلبتاهما عايشة وحفصة . وقوله لهما انصرفا فإن تكن لى حاجة بعثت إليكما

وإذا أحطت خبراً بكل ما هنالك علمت الجواب عن الأسئلة ، وعرفت غرض النبى ﷺ الذى كان يرمى إليه من كتابة الكتاب وتحققت أن الذى كان يريد كتابته هو نفس ما قرره يوم الغدير من خلافة : أمير المؤمنين على «عليه السلام» وولايته عليهم، لتتم بذلك لله الحجة على العباد ، إذ أن يوم الغدير لم يعلم به جميع المسلمين، ولم يسمع كلامه إلا من كان حاضراً فى ذلك المشهد الرهيب ، لذلك تراه ﷺ تأكيداً لهذا الأمر ، وتوطيداً لخلافة على عليه السلام أراد أن يكتب له بذلك لتعلم القاصى والدانى ، والشاهد والحاضر ، والألم يكن صلى الله عليه وآله قاصداً فى كتابة الكتاب الوصاية

---

١ - انظر كتابنا : « مع رجال الفكر فى القاهرة » قسم التعليقات مصادر قول عمر إن الرجل ليهجر . التعليقة برقم (١٠) . « الناشر »

٢ - راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٢ - ٢٠ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. « الناشر »

لعلى عليه السلام لما عارض عمر (رض) هذه المعارضة الشديدة [1]

ولست أحسب أن عمر بن الخطاب (رض) لو لم يعلم أن كتابة الكتاب توجب ضرره الشخصى بذهاب الخلافة من يده ينازع مع ذلك، ويصد الرسول عن إكمال هدفه السامى الذى يوجب حفظ المسلمين وأمانهم من الضلال».

وأظن أن الخصم سوف يفاجئنا فيقول: إن كان رسول الله ﷺ أراد الوصية لعلى عليه السلام، حقيقة فلماذا أصغى إلى اعتراض عمر ومن شايعه على رأيه، فليمض لسبيله، وليوص بما شاء فإن أبابكر (رض) ليس بنبى وقد استطاع مع ذلك أن يوصى لعمر قبل وفاته[2]، وجوابه ما قاله آية الله سيدنا الخال الأعظم[3] فى كتابه «الفصول المهمة فى تأليف الأمة» قال: «وإنما عدل عن ذلك لأن كلمتهم التى فاجأوه بها اضطرته إلى العدول إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى اختلاف الأمة من بعده فى أنه هجر فيما كتبه (والعياذ بالله) أو لم يهجر كما اختلفوا فى ذلك فاختصموا وأكثروا اللغو واللغط نصب عينه، فلم يقسن له يومئذ أكثر من طردهم من مجلسه فقال: قوموا عنى كما سمعت، ولو أصرّ فكتب الكتاب للجوافى

١ـ لقد أراد فى مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك، شرح النهج ١٢ ـ ٢٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

قال الشاعر:

أوصى النبى فقال قائلهم ... قد ظل يهجر سيد البشر
وأرى أبا بكر أصاب ولم ... يهجر وقد أوصى إلى عمر

«الناشر»

٢ ـ فراجع الفصل ص ٩٥ وغيره من سائر فصول الكتاب ففيه ما شئت من علم وحكمة وفلسفة تاريخية قلما تجدها فى غيره من المؤلفات.

٣ـ أعدته للنشر مطبوعات النجاح بالقاهرة فى أول المجلد الاول من موسوعة الإمام شرف الدين الاسلامية ـ الناشر

قولهم هجر (١) ، ولا وغل أشياعهم فى اثبات هجره ﷺ والعياذ بالله فسطروا به أساطيرهم . وملأوا منه طوامیرهم ، ردا على على عليه السلام وشيعته إن احتجوا بذلك الكتاب ، لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك الكتاب صفحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم بابا إلى الطعن بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم « نستجير بالله»

وقد رأى صلى الله عليه و آله وسلم أن أولياء «على» خاضعون لخلافته كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب، وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبرونه لو كتب ، فالحكمة والحالة هذه توجب تركه إذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى وقوع الفتنة كما لا يخفى اه »

وقد شاءت المقادير أن يتشتت شمل هذه الأمة ، ويتمزق جمعها ، ويتفرق أيدى سبا ، وتكون طوائف متعددة شأن من تقدمهم يفسق بعضهم بعضا ، وتسعى كل من الطوائف فى طمس معالم الأخرى فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

١ - الهجر بالضم وهو : الخنا والقبيح من القول ومنه حديث مرض النبى ﷺ ما شأنه : أهجر؟ والقائل كان عمر.
ابن الاثير « النهاية فى غريب الحديث » مادة هجر .

ونحن إذا رجعنا للأحاديث النبوية الشريفة ، وجدنا النبي ﷺ قد عين الفرقة الناجية بحديث آخر مجمع على صحته وقد ذكره علماء الطائفتين وهو قوله ﷺ : « إنما أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، وفى رواية هلك [1] » ، فأنت تراه ﷺ قد حكم بالنجاة على الفرقة التى تتمسك بأهل البيت عليهم السلام ، وتعتصم بحبلهم ،

ولا من شك أن الراكب فى هذه السفينة والمتمسك بها ليست إلا الشيعه لأنها هى التى شايعتهم على كل قول ، وتابعتهم على كل فعل ، وأخذت عنهم معالم الدين والأصول ، والفروع ، والأخلاق والتفسير ، وكل ما يحتاجونه من أمور الدنيا والدين ، يوالون وليهم ، ويعادون عدوهم حتى أصبحوا يلقبون : « بشيعة أهل البيت »

ومن الغريب المضحك أنا نرى ابن حجر فى صواعقه يريد أن ينتصب لقب الشيع ، ويحمله لقبا له ولأتباعه ، وأنهم هم الذين شايعوا أهل البيت ووالوهم ، وليت شعرى هل يكون من شيعتهم من يرجع فى الأصول إلى الأشعرى ؟ ! وفى الفقه إلى مالك ، والشافعى ، وأبى حنيفة ، وأحمد بن حنبل هل يكون من شيعتهم من لا يعول عليهم ، ويعول على الخوارج والمرجئة والمضعفين ؟؟ هل يكون ابن حجر وأمثاله من شيعتهم وفيهم أمثال ابن خلدون الذى يرى (والعياذ بالله) أن أهل البيت شذاذ مبتدعون ، وأمثال ابن حزم الذين لا يرى لهم نفعاً فى علم أو عمل كما ستعرف ذلك ؟؟ هل يكون هؤلاء من شيعتهم ؟؟ سبحانك اللهم إن هذا لا بهتان عظيم :

فالمذهب الحق إذاً هو مذهب أهل البيت وهو مذهب الشيعة وهى الحرية بالنجاة لما عرفت من مفاد الحديثين .

وهناك مسائل لا تلائم روح الإسلام تجدها مبثوثة فى كتب القوم ،

---

١ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩٣

وأحاديثهم ، ومعتقداتهم ؛ نضع بين يديك مثلا تستطيع بها أن تحكم على معتنقيها بالبعد عن النجاة المنوه عنها فى حديث أفتراق الأمة .

١ - تجسيم الله

من المسائل الغريبة عن الدين التى يذهبون إليها تجسيم الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وأن صحاحهم محشوة بما ينطق بذلك فهذا مسلم يروى لنا فى الجزء الأول من صحيحه [1] عن أبى سعيد الخدرى « إن أناساً فى زمن رسول الله ﷺ قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب قالوا يارسو الله قال ما تضارون فى رؤية الله تبارك وتعالى فى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما ، » ثم ذكر لهم الأمم التى كانوا يشركون فى عبادة الله ودخولهم النار ، ثم قال لهم : لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يارينا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساقه فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد إتقاءاً ورياءاً إلا جعل الله ظهره طبيقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ، ثم يرفعون رؤسهم .

وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول مرة ، فقال أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا إلى آخر الحديث وهو طويل فراجعه ، وروى مسلم أيضاً فى الجزء الثانى من صحيحه [2] عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال لا تزال جهنم يلقى فيها

---

١ - صحيح مسلم ١-٨٧ ٢ - صحيح مسلم ٢-٤٨٢

وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال فضل فى الجنة حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة ، وعن أبى هريرة عنه ﷺ فأما النار فلا تمتلىء فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلىء وينزوى بعضها إلى بعض)

ويحدثنا الإمام أحمد [1] عن ابن مسعود :

«أن رسول الله ﷺ قال إذا كان ثلث الليل الباقى يهبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا ثم تفتح أبواب السماء ثم يبسط يده فيقول : هل من سائل يعطى سؤله فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر ، ويحدثنا البخارى فى صحيحه [2] « عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال أذهب فسلم على ارفع انواع أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك ، وتحية ذريتك فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » .

وأنت ترى انهم يقولون بالتجسيم بأقبح صورة فانهم يرون كما عرفت أنه يرى كما ترى الشمس والقمر ، وأنه يهبط إلى السماء الدنيا وأن له يدين ورجلين ، وإن لهم علامة بينهم يعرفونه بها وأن طوله ستون ذراعاً إلى غير ذلك من الخرافات المضحكة التى نربأ بعجائز البربر أن تفوه بمثلها أو تؤمن بها .

والحق أن هذه الأحاديث الكاذبة وأمثالها هى التى تشوه سمعة الإسلام وهى التى تفسح للأجانب المجال وتفتح لهم طريقا للطعن فى الدين الإسلامى ومقدساته ، واست أدرك كيف سمحت لهم انفسهم بوضع هذه الاحاديث فى كتبهم الست ؟؟

وكيف تدعى - مع اشتمالها على أمثال هذه الاحاديث - بالصحاح ؟؟!!

---

١ - مسند أحمد ١ - ٣٨٨

٢ - صحيح البخارى ٤ - ٥٤

وقد انكرت السيدة عائشة (رض) اشد الانكار على من يدعى رؤية الله عز وجل كما يحدثنا بذلك مسلم [1] فى صحيحه قال : وعن ابن مسروق قال كنت متكئاً عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم فيهن فقد أعظم على الله الفرية قال :قلت ماهن قالت من زعم أن محمداً ﷺ راى ربه فقد أعظم على الله الفرية قال وكنت متكئاً فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظرينى ولا تعجلينى ، ألم يقل الله تعالى ولقد رآه بالأفق المبين ، ولقد رآه نزلة أخرى : فقالت عائشة : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : إنما هو جبريل عليه السلام لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ثم قالت : أو لم تسمع يقول لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، أو لم تسمع أن الله يقول وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا الخ ، وأنت ترى أن السيدة عائشة (رض) قد كفتنا مؤنة الجواب فقد أتت بالقول الفصل ، والحكم العدل .

والحق أن مسألة رؤية الله تعالى وتجسيمه من المسائل الواضحة البطلان بقطع النظر عن الآيات والنصوص الناطقة بذلك لأن من لوازم القول بالتجسيم الرضوخ إلى حدوث البارى عز شأنه ذلك أن كل جسم محدث وممكن يحتاج لمؤثر ، وعليه فيخرج الواجب عن كونه واجب الوجود وليس هذا مما ينطبق على التعاليم الإسلامية الحقة ، وقد نزهت الشيعة البارى عز اسمه عن وصمة الرؤية والتجسيم كما هو معروف من مذهبهم ، وهذا أمير المؤمنين عليه السلام - وهو إمامهم - الذى يدينون الله تعالى بالاعتصام بحبله ، ويتقربون إليه عز شأنه بالجرى وراء خططه وتعاليمه

---

١ - صحيح مسلم ١ ٨١

القيمة يقول: «من وصف البارى فقد حده، ومن حده فقد عده» إلى غير ذلك مما هو متكرر فى كتاب «نهج البلاغة»، ولم ينسب أحد إلى الشيعة — حتى الخصوم — القول بالتجسيم. نعم نسبوا ذلك إلى بعض الفرق مقيدة بالغالية، وقد عرفت أنا نكفرهم ونبرأ إلى الله تعالى منهم، ولكن أحمد أمين نسب إلى الشيعة القول بالتجسيم بقول مطلق مع أنه لا قائل بذلك سوى العلويين - وهم الذين يقولون بالوهية على عليه السلام وهذه الفرقة ليست من الشيعة بل وليست من الإسلام فى شىء:

وقد قال أيضاً أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام أن المذهب الجعفرى مزيج من يهوديه، ونصرانية، وزرادشتية وذلك لا تفاقهم وإياهم فى بعض النظريات: وستعرف من فصل بحمل عقائد الشيعة الآتى أنها نسب كاذبة ليس لها أى نصيب من الواقع، على أن الإتفاق ببعض النظريات لا يستدعى أن تكون تعاليم الشيعة - والعياذ بالله - يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، ولو أردنا أن نصحح نظرية أحمد أمين لحكمنا (والعياذ بالله) على السنة بأنها يهودية أو نصرانية أو مجوسية، حيث أنها تتفق وهذه الملل ببعض النظريات مع أن هذا أمر لا نقول به، وننزه نفسنا أن نفوه بمثل ما فاه به أحمد أمين.

وأما المسائل التى قال بها إخواننا السنيون وقد وجدت فى بعض الشرائع فهى التجسيم، والقول بأن مع الله صفات أزلية، ومسألة الجبر

فاليهودية اتفقت والتسنن بالقول فى التشبيه، فإن اليهود أول من أسس هذه الفكرة، وأول من أعتقد بها، حيث أنهم (قد وجدوا فى التوراة ألفاظاً كثيرة تدل على ذلك [1]) وقد تمشت هذه النظرية فى أدمغة أهل السنة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت بمرور الأيام كعقيده راسخة، ولم

---

١ - الشهرستانى فى الملل والنحل ص ٦٥

يكن ثمة سبب يدعو إلى هذا الاعتقاد سوى ما يشاهدونه من الآيات الموهمة ذلك فى القرآن الكريم كقوله تعالى « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » وقوله « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » وقوله « بل يداه مبسوطتان » إلى غير ذلك من الآيات التى ربما يغتر بها من ليس لديه من الثروة العلمية ما تخوله تأويل هذه الآيات إلى وجوه تتفق والعقل ، وتناسب عظمة الله وجلاله .

ومن الغريب أنا نرى أبا الفتح الشهرستانى [1] يحدثنا عن بعض سلفه أنهم يحمدون عندما يرون آية ظاهرة فى التشبيه ، ولا يؤولونها حذراً من الزيغ الذى أشار الله تعالى إليه بقوله: « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم » ولأن التأويل أمر مظنون الاتفاق ، والقول فى صفات البارى تعالى بالظن غير جائز ، وقد امتدح الشهرستانى هذه الطريقة ، وقال عنها أنها طريق السلامة :

والذى يقتضيه التحقيق هو : جواز التأويل — بل وجوبه — إذا كانت الآية ظاهرة فى شىء لا يقره العقل ، على أنا لو سلمنا عدم الجواز لتعين مع ذلك أيضا لأن القول بعدم التأويل يستلزم التجسيم وهو مخالف للعقائد الإسلامية الحقة فالذهاب إلى التأويل أقل ضرراً فينحصر القول به لأن ارتكاب أقل المحذورين واجب بحسب الشرع والعرف كما هو مقرر فى فن الفقه .

وقد اتفقت النصرانية والتسنن أيضاً بالقول بأن مع الله تعالى صفات أزلية [2] كالقدرة والعلم ، والحياة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ،

---

١ - الملل والنحل ص : ٧٦

٢ - ذكر ذلك أبو الفتح الشهرستانى ص٦٥ من كتابه الملل والنحل .

والسلام ، وغير ذلك من الصفات لجعلوه تعالى مفتقرا فى كونه عالما إلى ثبوت معنى هو العلم وهكذا ولم يجعلوه عالما لذاته بل لمعانى قديمة يفتقر فى هذه الصفات إليها فهو باعتقادهم محتاج وناقص فى ذاته ، كامل بغيره ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقد التفت إلى فساد هذه العقيدة شيخهم الإمام فخر الدين الرازى فقال: « إن النصارى كفروا لأنهم قالوا إن القـــدماء ثلاثة وأصحابنا أثبتوا قدماء تسعة » .

وقد اتفقت المجوسية والتسنن فى مسألة الجبر فإن مذهب المجوس أن الله تعالى يخلق فعله ثم يتبرأ منه ، كما خلق إبليس ثم نفاه .

وكذلك المجبرة قالوا أنه تعالى يفعل القبائح ثم يتبرأ منها .

٢ - اعتقادهم بالأنبياء والرسل

إن من العقائد الراسخة لدى كل فرد من أفراد الشيعة هو القول بعصمة الأنبياء وتنزيههم عن كل مالا يليق بمقام النبوة الاقدس من ارتكاب الخطيئة والكذب وغير ذلك مما يحط من مكانتهم السامية فى أنظار الناس ، هذا هو الذى يفرضه العقل السليم ، ويساعد عليه الاعتبار ، فانا لو جوزنا على النبى ﷺ - وحاشاه - ارتكاب الخطيئة كما جوزناه على ميزة كبيرة تخوله أن يتسنم أريكة النبوة ، ولما بقى للناس ثقة عامة فى حديثه ما دام نفسه قد أعترف لهم بذنبه وكذبه ، وهذه من القضايا الواضحة التى لا تحوجنا إلى تجشم الاستدلال ، ولكن من الغريب إنا نرى (صحاح) أهل السنة مملوءة بما لا يليق بمقام الانبياء عليهم السلام .

فهذان الشيخان البخارى ومسلم يحدثان أن النبى ﷺ قال [1] « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ،

---

١ - صحيح البخارى ٤ - ٨٦، صحيح مسلم ١ - ٩٥ وتكرر ذلك منه إلى ص ٩٩

فيأتون آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته، ويقول: آتو نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول:

لست هناكم ويذكر خطيئته، أتو إبراهيم الذى أتخذه الله خليلا فيأتونه فيقول:

لست هناكم ويذكر خطيئته، آتوا موسى فيأتونه فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، آتو عيسى فيأتونه فيقول:

لست هناكم ويذكر خطيئته آتو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى فأستأذن على ربى فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ماشاء الله ثم يقول: إرفع رأسك سل تعطه، وقل: يسمع، وأشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى، ثم أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فى الثالثة أو الرابعة حتى ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن».

وزاد مسلم [1] بأن ذكر أن آدم أقر بالمعصيه لأكله من الشجرة.

وإن إبراهيم أقر أنه كان كاذباً.

وإن موسى أقر أنه قتل نفساً من غير أن يؤمر بقتلها.

ويحدثنا مسلم أيضاً [2] عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«كانت بنوا إسرائيل يغتسلون عراة، وينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى يغتسل وحده وقالوا: ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر.

قال: فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال:

---

١ ـ صحيح مسلم ١ ـ ٩٨

٢ ـ المصدر نفسه ٢ ـ ٣٠٨

فجعل موسى عليه السلام يقول : ثوبى حجر ثوبى حجر ، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى عليه السلام .

فقالوا : والله ما بموسى من بأس فقام الحجر بعد حتى نظر إليه قال :

فأخذ موسى ثوبه فطفق بالحجر ضربا .

قال أبو هريرة : والله إن بالحجر ندبا ستة أو سبعـــة ضرب موسى عليه السلام بالحجر » .

ومع أن هذه القضية غريبة وغريبة جداً تجد مسلم يذكرها فى صحيحه ، وفى باب فضائل موسى .

ولست أدرى كيف أصبح كشف السوءة فضيلة بنظر مسلم مع أن كشفها بقطع النظر عن الحرمة أمر يستقبحه العقل ، وفعل لا يرتكبه الساقط من الناس فضلا عن نبى كريم كموسى عليه السلام .

هذه نبذة يسيرة يمكنك أن تستكشف منها مبلغ إيمانهم ، واعتقادهم بالرسل ، وها أنا ذا الآن أضع بين يديك مثلا أخرى تنبئك عن معتقدهم فى خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم .

روى مسلم [1] عن عائشة أنها قالت « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بغاث فاضطجع عـــلى الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا ، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرقة والحرب ... ألخ » .

بربك قل لى أيها القارىء الكريم هل يمكن أن يجلس النبى صلى الله عليه وآله وسلم لسماع الغناء وهو محرم ؟ وعلى تقدير حليته يوم العيد كما يدعون ـ ولا دليل عليه ـ فهل من اللائق أن تغنى المغنيات فى بيته وفى حضوره ؟ !

---

١ ـ صحيح مسلم ١ ـ ٣٢٧

أجل أنا نربأ بأنفسنا عن أن نفعل ذلك، فكيف برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا يشغل لسانه إلا بالذكر، ولا سمعه إلا بسماع الحق

وليت شعرى إذا كان للقضية نصيب مع الواقع فهل يسوغ لأبى بكر أن ينتهز عائشة ويقول: مزمار الشيطان عند رسول الله مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يسكت عن أمر ما لم يقل بجوازه ؟!

ألا يكون اعتراضه هذا دليل قوى على اتهامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بارتكابه الحرام بسماعه للغناء ؟؟

ألم يكن من الواجب عليه - وهو يقول بنبوته — أن يقف مكتوف الأيدى، متأسيا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟؟

ألا يحمل بأبى بكر — وقد اعتقد بحرمة الغناء — أن يستفسر عن سبب سكوته صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يوجه إلى عائشة تلك الكلمة القارصة.

وغريب قول عائشة فلما غفل غمزتهما فخرجتا لأنه يشعر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوق قوله بجواز الغناء فى ذلك اليوم إنه كان منبسطا لهذه الحالة انبساطا زائدا بما لم يدع لعائشة فرصة تنتهز بها إخراج الجاريتين إلا عند نومه .. سبحانك اللهم إن إلا بهتان عظيم.

وروى البخارى [1] وغيره عن سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لقى زيد بن عمرو بن نفيـــل بأسفل بلدح وذلك قبل أن ينزل على رسول الله الوحى فقدم إليه رسول الله سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال:

إنى لا آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل الا ما يذكر اسم الله عليه.

---

١ - البخارى ٣ / ١٩٢ ورواه الإمام أحمد فى المسند ١ / ١٨٩ وفى ٢ - ١٨٩

وروى مسلم[1] عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد فليقل لاردها الله عليك ، فإن المساجد لم تبن لهذا » .

وعن سلمان بريدة عن أبيه أن رجلا نشد فى المسجد فقال :

من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« لاوجدت إنما بنيت لما بنيت له » ،

وليت شعرى إذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم تارة يراه يضيق ذرعاً عن أن يصبر عندما يسمع ارتفاع الأصوات فى المسجد فيضطر للخروج ، ولأن يأمر الدائن أن يخفض شطراً من دينه ليخف اللغو واللغط فى المسجد الشريف .

وتارة أخرى تراه داعيا على من نادى فى المسجد بعدم رد ضالته حيث أن المساجد لم تبن لمثل هذا وإنما بنيت للعبادة .

فهل يسوغ بعد ذلك كله أن نقول ذهب — والعياذ بالله — وصحب معه زوجته للتفرج على الحبشة الذين يلعبـــون فى حرابهم فى المسجد الشريف ؟؟ !!

ينهى عن شىء أكثر مايقال فى حقه أنه يستلزم سوء الأدب ، ويرتكب شيئا أهون مايقال فى حقه : إنه لهو ولعب ؟!

كلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم أشد محافظة على أحكامه ، وأكثر معرفة بحلال الله وحرامه .

ومن الغريب جدا أنك ترى أبا هريرة روى لنا حديثين متناقضين :

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٢١٢

حديث لعب الحبشة ، وحديث كراهة رفع الصوت فى المساجد ، ولا عجب فهو مغرم برواية الخرافات ، والجمع بين المتناقضات والاضداد كما ستعرف ذلك تفصيلا إن شاء الله تعالى .

وقد ذهبوا أيضا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نام عن صلاة الصبح فهذا مسلم يحدثنا فى صحيحه[1] عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من غزوة خيبر سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى عرس، وقال لبلال إكلأ لنا الليل ، فصلى بلال ماقدر له ، ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجهة للفجر ، فغلبت بلالا عيناه وهو مستند إلى راحلته ، فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لهم استيقاظا ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أى بلال فقال بلال : أخذ بنفسى الذى أخذ بأبى أنت وأمى يارسول الله - بنفسك . . . الخ .

« وعن أبى هريرة أيضا قال : عرسنا مع نبى الله فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان » .

وأنت ترى أنهم لم يكتفوا بنسبة نوم صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة، حتى وضعوا على لسانه إن السبب فى ذهاب الصلاة من أيديهم هو حضور الشيطان، كأنهم يريدون أن يجعلوا للشيطان سلطانا حتى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2] .

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٢٥٤

٢ - وقد أفرعت كثرة رواية أبى هريرة : عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له : أكثرت ياأبا هريرة فى الرواية وأحربك أن تكون كاذبا على رسول الله =

والحق أن مع قطع النظر عن استبعاد نومه صلى الله عليه وآله وسلم وقبح ذلك بالنسبة إليه لا يمكننا إلا أن نكذب هذه الرواية ، حيث أنا نعلم أن صلاة الليل فريضة بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله وسلم. وأن الله تعالى أمره أن يقيم الليل إلا قليلا : « يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو أنقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » .

فلا يسوغ إذا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم — والحالة هذه — أن ينام ويأمر بلالا أن يكلأ لهم الليل .

ولا أخال أن الخصم يفاجئنا بقوله : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما فعل ذلك ليبين للناس جواز فوات الصلاة من يد المكلف إذا كان نائما وإنه لا عقاب عليه إذا حصل منه ذلك ، لأنا وإن سلمنا أن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة كقوله وتقريره ، ولكنه لا يتعين دونهما لا سيما بعد أن علمنا أن الأخذ به فى هذه المسألة يوجب تفويت الواجب الذى ينزه عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، على أن نومه ليس منه ليكون حجة بالنسبة إلى المكلف وإنما هو فعل الله عز وجل .

= ثم هدده ، وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده .

وقد ذكر أبو محمد بن حزم أن سند بقى بن مخلد الأندلسى قد احتوى من حديث أبى هريرة على ٥٣٧٤ روى البخارى منها : ٤٤٦ .

وقد استعمل عمر أبا هريرة على البحرين عام ٢١ هـ ثم بلغه عنه أشياء تخل بأمانة الوالى فعزله ، واستدعاه وقال له : هل علمت فى حين أنى استخلفتك على البحرين وأنت بلا نعلين ؟ ! ثم بلغنى أنك ابتعت أفراسا بألف دينار . وفى رواية عن أبى هريرة نفسه أن عمر قال: ياعدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله من أين اجتمعت لك عشرة آلاف دينار !

« تقرير سياسى منظوم » مطبعة دار التأليف بالمالية بالقاهرة .

ومما يشهد لكذب هذه الرواية التي رواها أبو هريرة وغيره ماروا أبو هريرة نفسه كما في صحيح البخاري[1] أنه قال : « قال النبي صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » .

«وعن عبد الله أنه ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقيل مازال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال : بال الشيطان في أذنه » .

فهل يمكن بعد هاتين الروايتين أن نذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نام عن صلاة الصبح ، مع ماوصف النائم من خبث النفس ، وبول الشيطان في أذنه ؟!! لاشك إنا نحيب بالسلب .

والحق إن أبا هريرة وأمثاله من رواة السوء الذين أكثروا الوضع على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم أشد ضرراً على الإسلام من أعدائه الألداء ، ذلك أنهم قد زرقوا سمومهم القتالة في أدمغة المسلمين باسم الدين بما لا يتسنى للخصم أن يسير على هـــذه الخطة التي تحتاج إلى كثير من التدليس والتدجيل .

وقد برع أبو هريرة في هذا الفن براعة تستلفت أنظار الباحثين ، وقد ساعده على ذلك ما كان يظهره للناس من شدة مصاحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقطاعه إليه ، وقد كان البسطاء من الناس يغترون به لأنه صحابي ، والصحابي على الإطلاق بنظرهم ملك مقرب ، وصورة مصغرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

---

١ - صحيح البخاري ١/١٢٧ .

وهم يجوزون السهو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يحدثنا بذلك مسلم فى صحيحه[1] .

قال : « وعن سفيان مولى ابن أبى أحمد أنه قال :

سمعت أبا هريرة يقول : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر فسلم ركعتين فقام ذو اليدين فقال : أقصرت الصلاة أم نسيت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ذلك لم يكن .

فقال : قد كان بعض ذلك يارسول الله فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس فقال : أصدق ذو اليدين فقالوا : نعم يارسول الله فأتم رسول الله صلى الله عليه وسلم مابقى من الصلاة ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم .

وعن عمر بن حصين نظير ذلك غير أنه قال : فى آخره :

فخرج رسول الله غضبانا يجر رداءه حتى انتهى إلى الناس فقال : أصدق هذا ؟ قالوا : نعم .

فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم .

وأنت إذا تدبرت رواية أبى هريرة وابن حصين — مع قطع النظر عن عدم جواز سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم — لوجدتهما من الروايات الكاذبة المختلقة حيث أنك تراه صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر له ذو اليدين صنيعه أجابه من غير ماتردد ، نافيا لكلا الاحتمالين قائلا :

« كل ذلك لم يكن » .

ولا من شك أن قوله هذا لم يكن إلا عن تدبر وروية ، وعلم ثابت

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٢١٥

بعدم سهوه أنه لقول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون » .

وهذا ضرورى الاعتقاد إذ ليس كلامه صلى الله عليه وآله وسلم كـكلام غيره من البشر يحتمل الصدق والكذب .

« وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شـــديد القوى » .

وما خروجه صلى الله عليه وآله وسلم غضبانا يجر رداءه إلا استفضاعا من هذه النسبة الكاذبة التى بهته بها ذو اليدين .

ولو أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يرى أن هذه النسبة مما تضر بشخصيته المقدسة، لما غضب هذا الغضب الشديد ، فغضبه صلى الله عليه وآله وسلم ورده لذى اليدين دليل قوى على أن السهو لا يجوز على النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا يتصور صدور هذه القضية منه صلى الله عليه وسلم إلا إذا قلنا إن المصلين كانوا أكمل منه صلى الله عليه وآله وسلم وأحضر فكراً ، وأشد بصيرة ، وأكثر توجها للصلاة ، وليس وراء هذا الاعتقاد سوى الكفر .

عصمنا الله من الزلل ، وأعاذنا . تقدست أسماؤه من سوء المنقلب .

هذه بعض خرافاتهم ولو أردت أن اتبسط فى البحث لأتيتك بالشىء الكثير وأنت إذا أحطت خبراً بكل ماسقناه لك من عقائدهم لتحقق لديك أنها عقائد فاسدة .

هذا بالنسبة إلى الأصول والعقائد ، وهكذا حالهم بالنسبة إلى الفروع الفقهية ، فإن أغلب أحكامهم يستنبطونها من القياس ، ذلك الأصل الذى لا يستند على كتاب الله ، ولا على سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ،

وقد كان أكثر أهل السنة عملا بالقياس : أبو حنيفة ، فإنه كان كثير الشغف به حتى أنه كان يصدر الحكم إذا سئل من غير أن يفحص عن دليل الحكم فى القرآن الشريف، أو الأحاديث النبوية مما جعله لأن يكون معرضا للنقد، ولأن يرمى بالتلاعب فى الدين وأحكامه ، قال[1] ابن شبرمة :

« دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق . فقلت هذا رجل فقيه من العراق ، فقال : لعله الذى يقيس الدين برأيه ، أهو النعمان بن ثابت؟ قال : ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم ، فقال له أبو حنيفة : نعم أنا ذلك أصلحك الله .

فقال له جعفر بن محمد إتق الله ، ولا تقس الدين برأيك ، فإن أول من قاس إبليس إذ قال : أنا خير منه ، فأخطأ بقياسه فضل .

ثم قال له أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك قال لا ، (ثم سأله عدة أسئلة تتعلق بخلق الإنسان وأبو حنيفة لا يستطيع الجواب عنها ، فأجابه عليه السلام عنها وعلله إياه) ثم قال له بعد ذلك : ويحك أيما أعظم عند الله إثماً قتل النفس التى حرم الله بغير حق ، أو الزنا ؟ قال : بل قتل النفس[2] .

قال جعفر : إن الله قد قبل فى قتل النفس شهادة شاهدين ، ولم يقبل فى الزنا إلا شهادة أربعة فأنى يقوم لك القياس .

ثم قال أى أعظم عند الله الصوم ، أو الصلاة ؟ قال الصلاة قال فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة .

اتق الله ياعبد الله ولا تقس الدين برأيك، فإنا نقف غداً ، ومن خالفنا

---

١ ـ حياة الحيوان ٢ ـ ١٧٨ .

٢ ـ أدلة الإمام الصادق عليه السلام شرعية وليست فى نطاق السنة .

بين يدى الله فنقول : قال الله وقال رسول الله ، وتقول أنت وأصحابك سمعنا ورأينا فيفعل الله بنا وبكم مايشاء .

والجواب : فى الزنا لايقبل فيه إلا أربعة طلبا للستر ، وإن الحائض لاتقضى الصلاة دفعا للمشقة لأن الصلاة متكررة فى اليوم والليلة خمس مرات بخلاف الصوم ، فإنه فى السنة مرة والله أعلم اهـ .

فأنت ترى أن الإمام الصادق عليه السلام — وهو من أهل البيت أدرى بالذى فيه — قد أنكر على أبى حنيفة أشد الإنكار ، وبين له خطأه بما يدلنا على أن الأخذ بالقياس غير مشروع .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم مايؤيد قول الإمام الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام فهذا البخارى يحدثنا[1] عن ابن عمر أنه سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « إن الله لاينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا ، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون برأيهم فيضلون ، ويضلون .

وقال البخارى أيضا فى الصفحة التى بعدها « باب ما كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسئل مما لم ينزل عليه الوحى فيقول لاأدرى ، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحى فيقول لا أدرى ، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحى ، ولم يقل برأى ولا قياس لقوله تعالى بما أراك الله .

وقال ابن مسعود : سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الروح فسكت حتى نزلت الآية » .

وليت شعرى إذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسئل فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحى — وهو النبى — فهل يسوغ لأبى حنيفة وأمثاله ممن

---

١ - صحيح البخارى ٤ - ١٦١ .

لم يكن معصوما عن الخطأ أن يفتى برأيه ، ويقيس الأحكام بعقله من غير أن يرجع إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ؟؟

وأنت إذا تدبرت حديث ابن عمر جيدا عرفت قيمة أبحاثهم الفقهية ، وعلمت أنها تحت الصفر مادام النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حكم على من أفتى برأيه أنه ضال ومضل .

ونحن الآن نضع بين يديك صلاة أبى حنيفة، ومنها يمكنك أن تعرف مقدار تلاعبهم بأحكام الله عز وجل ،

فهذا العلامة صاحب كتاب حياة الحيوان يحدثنا[1] عن ابن خلكان أنه قال عن السلطان محمود .

« كان حنفى المذهب ، وكان مولعاً بعلم الحديث وكان يسأل عن معناه فيجد أكثره موافقا لمذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فجمع فقهاء المذهبين وألقى منهما الكلام فى ترجيح أحد المذهبين فوقع الاتفاق عن أن يصلى بين يديه ركعتين على مذهب الإمام الشافعى ، ثم على مذهب الإمام أبى حنيفة ركعتين فينظر السلطان إلى ذلك ويختار الأحسن .

فصلى القفال المروزى بطهارة سابغة ، وشرائط معتبرة من الطهارة ، والسترة ، واستقبال القبلة ، وأتى بالأركان والماهيات والسنن والأبعاض ، والآداب على وجه الكمال . وكانت صلاة لا يجوز الشافعى دونها .

ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة ، فلبس جلد كلب مدبوغا ، ولطخ بعضه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر ، وكان ذلك فى صميم الصيف فاجتمع عليه الذباب والبعوض .

---

١ ـ الدميرى حياة الحيوان ٢ ـ ٤٤٧

وكان وضوؤه منكساً منعكساً ، ثم استقبل القبلة ، واحرم بالصلاة من غير نية فى الوضوء ، وكبر بالفارسية ، ثم قرأ بها « دوبرك سبز » ، ثم نقر كنقرات الديك من غير فصل بينهما ، ومن غير طمأنينة وتشهد ، وضرط فى آخرهما وخرج من غير نية السلام ، وقال :

أيها السلطان هذه صلاة أبى حنيفة ، فقال السلطان : لو لم تكن هذه الصلاة صلاة أبى حنيفة لقتلتك لأن مثل هذه الصلاة لايجوزها ذو دين .

فأنكرت الحنيفة أن تكون هذه الصلاة جائزة عند أبى حنيفة ، فطلب القفال كتب أبى حنيفة فأمر السلطان بأحضارها ، وأمر نصرانياً أن يقرأ كتب المذهبين جميعا فوجدت الصلاة التى صلاها القفال جائزة عند أبى حنيفة ، فأعرض السلطان عن مذهب أبى حنيفة وتمسك بمذهب الشافعى رضى الله عنه ، اه .

ولا شك أنك إذا استعرضت هذه الصلاة ستضم صوتك مع صوت السلطان المحمود ، وتصدر حكمك لأول نظرة أنها صلاة لايجوزها ذو دين حيث أنها لم تتفق والعقل السليم ، ولم تبن على أساس متين ، فإن كل ماذهب إليه فى هذه الصلاة ينافى النصوص الصريحة ، ويخالف ماأجتمعت عليه الأمة من وجوب النية فى الصلاة ، والوضوء بالماء ، والتكبير بالعربية ، والقراءة بالعربية ، والطمأنينة فى الصلاة ، ومن فساد الصلاة بخروج الريح .

ومن غريب ماينقل عن أبى حنيفة أنه يرى بطلان الصلاة لو خرج الريح من غير تعمد بخلاف العكس .

وأنت ترى أن هذه كلها أحكام لاتتفق حتى مع الفول بالقياس

إذ ليس فى الشريعة الإسلامية ما يشبه هذه الأحكام ليتسنى له القياس عليها .

ومن هنا تعلم أن أبا حنيفة تحلل من كل قيد حتى من ربقة القياس التى يزعم مشروعيته .

ولعل هذا التساهل هو الذى جعل مذهبه عاما فى سائر الأقطار الإسلامية لما قد جبلت عليه النفوس البشرية من حب الحرية ، وحب تحطيم القيود ولا سيما إذا أتيح للانسان أن يخلعها باسم الدين .

وهناك مسائل كثيرة غريبة جدا ذهب إليها أبو حنيفة ضربنا عنها صفحا لاشتهارها ، وهكذا أصحاب باقى المذاهب فإنهم قد ذهبوا إلى مسائل متعددة بعيدة عن تعاليم الإسلام القيمة .

فهذه عقائدهم بالله عز وجل ، وبرسله ، وخاتم أنبيائه ، وهذه أحكامهم الشاذة التى يرفضها العقل ، ويمجها الطبع ، فهل يمكنك والحالة هذه — أن تضع هذه المذاهب فى مصاف المذهب الجعفرى ؟؟ ، ذلك المذهب الذى يقول بتنزيه الله عز وجل عن التجسيم والافتقار .

والذى يذهب إلى عصمة الأنبياء من كل صغيرة أو كبيرة ، فى الأحكام أو غيرها ، والذى استقى تعاليمه القيمة من أهل بيت العصمة الذين اذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً .

أجل إن أصحاب المذاهب الأربعة يسيرون ، ولكن على غير هدى ، قد سلكوا طريقا مظلماً مملوءاً بالحواجز والعراقيل التى تقف حجر عثرة فى سبيل وصولهم إلى معرفة الله وأحكامه .

وأما الشيعة فإنها تسير هادئة مطمئنة ، ذلك أنها لم ترتضع سوى محبة آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم تفتح عينيها بسوى تعاليمهم القيمة ، ولم تسر إلا على نهجهم القويم ، وحرى بطائفة معتصمة بحبل أهل البيت أن تحشر فى خدمتهم على حد الحديث الشريف : يحشر المرء مع من أحب .

* * *

- ٣ -

الشيعة وتكونها

لفظ الشيعة :

يطلق لفظ الشيعة ويراد به بحسب اللغة تارة الفرقة ، وتارة أخرى القوم الذين يجتمعون على الأمر ، ويكونون كتلة واحدة . ويداً قوية .

فلفظ الشيعة إذاً ليس مخصوصاً بفرقة دون فرقة ، بل يشمل كل فرقة أجمعت أمرها على كل شيء ، غير أن هذه اللفظة خرجت عن هذا العموم ، وغلبت على من تمسك بأهل البيت الطاهر حتى صارت لهم أسماً خاصاً يمتازون به عمن عداهم من سائر الفرق الإسلامية .

قال صاحب كتاب لسان العرب [1]

« والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم سيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع » .

وقال نقلا عن الأزهري : والشيعة اتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها وشيع ، وأشياع جمع الجمع ، ويقال شايعه كما يقال والاه من الوالى » .

« وقال ، وأصل الشيعة الفرقة من الناس ، ويقع على الواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد .

وقد غلب هذا الإسم على من يتولى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار لهم أسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وأصل ذلك من المشايعة : وهى المتابعة والمطاوعة ،

---

١ - لسان العرب لابن منظور ١٠-٥٥

مبدأ تكوينها :

لست أرى أنى الآن فى حاجة ماسة إلى إثبات أن التشيع كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك من الوضوح بمكان ، فنظرة بسيطة تلقيها على أى كتاب ترتضيه من الكتب التاريخية كافية لإثبات هذه الدعوى .

يقول أحمد أمين[1] « كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه ، وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلى بن عمه ، وعلى أولى من العباس لما بينا من قبل ، والعباس نفسه لم ينازع علياً فى أولويته للخلافة ، وإن نازعه فى أولويته فى الميراث فى فدك » .

ويقول محمد عبد الله عنان[2] « والشيعة فى عرف الكلام هم أتباع على وبنيه ، ويقال لهم شيعة أهل البيت » .

ومن الخطأ أن يقال أن الشيعة إنما ظهروا لأول مرة عند انشقاق الخوارج ، وإنهم إنما سموا كذلك لبقائهم إلى جانب على ، فشيعة على ظهروا منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما قدمنا ولبثوا يرقبون الحوادث والفرص حتى ولى الخلافة على » .

ولكنك لو تصفحت التاريخ جيدا ، وأزحت عن ناظريك ستار التعصب قليلا ، لعرفت بوضوح أن الشيعة تكونت فى حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمرأى منه ومسمع ، ولآمنت معى بأن البذرة الأولى للشيعة لم تكن تلك الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل بيته

---

١ ـ فجر الإسلام ٣١٧ الطبعة الأولى

٢ ـ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الفكرية ص ٢٦

أولى الناس أن يخلفوه كما ذهب إليه أحمد أمين ، بل كان الباذر لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو الذي بذرها بيده الشريفة .

وهو الذي تفقدها بنفسه الزكية حتى تدلت بعده أغصانها ، وأورقت أشجارها ، وأينعت أثمارها ، واهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج .

هذا أبو حاتم الرازي يحدثنا في كتابه « الزينة » فيقول : [1]

« إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو : الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة ، وهم : أبو ذر ، وسلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر إلى أن آن أوان صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام ، وعلى من كان اتباع معاوية بالسنى » .

فالتشيع إذاً سطع نوره عندما انبثق نور الإسلام في جزيرة العرب ، وأقرته نفوس أكابر الصحابة في الوقت الذي اعتقدت بالوحدانية . واعترفت بالرسـل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتجلى لك ذلك بوضوح إذا ما عرفت إن أباذر - وهو رابع المسلمين [2] أو خامسهم - كان يسعى سعيه المتواصل في بث هذا المذهب ، ويبذل غاية وسعه في سبيل نشر مبادئه القويمة منذ اعتنق الدين الإسلامي الحنيف ، وهكذا فعل كل من سلمان وعمار والمقداد .

وإن لدينا كثيراً من الروايات التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرح بلفظ الشيعة مما يدلنا على أن تقدم الشيعة حقيقة تاريخية راهنة يقرها العقل . ويدعمها النقل قال العلامة ابن حجر في « الصواعق » [3]

« قال أمير المؤمنين قال خليلي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا علي أنك

---

١ - روضات الجنات ص ٨٨ الطبعة الأولى

٢ - ابن الأثير ٢ - ٢١ ٣ - الصواعق المحرقة ص ٩٢

ستقدم على الله أنت وشيعتك راضيين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين وقال[1] : « وأخرج أحمد فى المناقب أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى أما ترضى أنك معى فى الجنة ، والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذريتنا ، وشيعتنا عن أيمـــاننا وشمائلنا ، وقال فى نفس الصفحة .

« وأخرج الطبرانى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى : أول أربعة يدخلون الجنـــة أنا وأنت ، والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذرياتنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا ، وفيها أيضاً .

« وأخرج الديلمى ياعلى غفر لك ولذريتك ، وولدك ، ولأهلك ، ولشيعتك ، ولمحبى شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين » . ومثل هذه الروايات كثير فى الصواعق فليرجع إليها من شاء .

هذه الأحاديث النبوية الشريفة التى وضعتها بين يديك أخرجها لنا ابن حجر ، وهو من قادة العصبية فى تلك الأعصر الخالية ، ، وهو الذى يحرق الأرض على الشيعة ، وما ألف كتابه « الصواعق » إلا بقصد الحط من كرامة الشيعة ، والقضاء على معتقداتها ، لذلك لا أحسب أن القارىء الكريم سوف يتسرب لقلبه الشك فى صحة هذه الأحاديث بعد أن صححها مثل ابن حجر .

وفى الحق أن هذه الأحاديث النبوية الكريمة ، لا تدل على أسبقية الشيعة فحسب ، بل تدلنا دلالة واضحة على مالها من المكانة السامية فى نظر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فإنك تراه لا يذكر أهل بيته عليه السلام إلا ويقرن أسماء شيعتهم بهم ، ولا يبشرهم بالجنة إلا ويخبرهم بأن شيعتهم فى خدمتهم .

وهى لعمرى ميزة عظيمة ، ويقدرها ذو الإنصاف ، ومكانة رفيعة يقرها من لديه قلب ، أو ألقى إليه السمع وهو شهيد .

---

١ ـ الصواعق المحرقة ص ٩٢ ٢ ـ المصدر نفسه ص ٩٦

- ٤ -

الشيعة الإثنى عشرية

قد عرفت سابقاً أن لفظ الشيعة مأخوذ من المشايعة والمتابعة. فمعنى قولك شيعة الرجل، وأصحابه وأتباعه.

ولا من شك أنك لا تتخلى بهذه الصفة، ولا ينسى لأحد أن يعدك من جملة المتطوعين فى حرب أى شخص إذا لم تكن مؤتمراً بأوامره، ومنتهياً عن نواعيه، تسترشد بأقواله، وتسلك صراطه.

فلفظ الشيعة إذاً خاص بمن كان يسير على نهج أهل البيت عليه السلام يهتدى بهداهم، ويقتبس من أنوارهم الوضاءة، ولسنا نجد فرقة من صنوف الشيعة اقتفت أثر أهل البيت العصمة سوى الشيعة الاثنى عشر، فإنها هى التى انقطعت اليهم، وعوّلت بالأصول والفروع عليهم، وهى التى تمثل الأكثرية الساحقة فى أنحاء المعمورة وهى التى نبغ منها الملوك والأمراء، والعلماء، والأدباء والكتاب والشعراء، ورجالهم أهل الحول والطول، وأولو العدد والعُدّة، وهم الذين حلقوا فى عالم التأليف، وبرعوا فى التصنيف والتأسيس[1].

---

١ - لقد ألف فى موضوع تقدم الشيعة فى العلوم والفنون الإسلامية سيدنا العم الأعظم أكبر علماء الشيعة اليوم الإمد آية الله السيد حسن الصدر الكاظمى كتاباً واسمه (الشيعة وفنون الإسلام) وهو من أجل كتب الامامية أثبت فيه أدام الله ظله - بأدلة قاطعة لا تقبل الشك - تقدم الشيعة على سائر الطوائف الاسلامية. وقد ترجم هذا الكتاب لأسمية موضوعه إلى عدة لغات أجنبية.

طبع فى القاهرة عام ١٣٩٦ هـ، بمطبعة دار المعلم نشرته مطبوعات النجاح فى القاهرة.

حتى حازوا قصب السبق فى جميع الفنون الإسلامية فكانوا بحق مثلا أعلى فى الرقى والتقدم.

وهذه الطائفة هى التى ندرأ عنها الشبه ، ونصد عنها هجمات العدو ، وما ألفنا كتابنا هذا إلا لنوقف الملأ على قليل من سيرها، وتطلعه على نفسه من آرائها ونظرياتها السائبة.

وقد اتبع تحت هذا الاسم طوائف كثيرة ليست من الشيعة وليست الشيعة منها وليست من الإسلام فى شىء ، فالشيعة تبرأ منها براءة الذئب من دم يوسف ، وتضرب بمذاهبها عرض الجدار ، وتلفظ أقوالها وآراءها لفظ النواة .

فهذه الكيسانية يحدثنا عنها أبو الفتح الشهرستانى — وهو من أكابر علماء السنة . « أنه يقول : [1] بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل وحمل بعضهم «والعياذ بالله » على ضعف الاعتقاد بالقيامة ،وعلى القول بالتناسخ والحلول حتى قال عبد الله بن معاوية رئيس إحدى طوائفهم بأن روح الله تناسخت حتى وصلت إليه . وحلت فيه فادعى الألوهية والنبوة معا،وأنه يعلم الغيب فعبدته طائفة ، والبنانية إحدى فرقهم تقول : بألوهية على عليه السلام وهم يدعون أنه حل فى على جزء آلهى واتحد بجسده فيه .

= وقد قدم له الدكتور سليمان دنيا أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ومدير المركز الإسلامى فى الولايات المتحدة - نيويورك - وطبع بالأوفست أكثر من مرة .

١ - الملل والنحل ١٠٧ .

وهذه الخطابية تقول:

إن الأئمة أنبياء ثم زعمت أنهم آلهة. وما ان وقف الامام الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام على اعتقاد رئيسهم الفاسد حتى تبرأ منه ولعنه، وأخبر أصحابه بالبراءة منه، وشدد القول فى ذلك».

وهذا صاحب عقد الفريد يحدثنا[1]: «أن السبئية ذهبت فى على مذهب النصارى فى المسيح، وان علياً احرقهم بالنار».

إلى غير ما هنالك من طوائف ضالة انضوت تحت لواء التشيع، وتسترت باسمه الشريف.

فهل يسوغ لنا بعد أن عرفنا خروج أمثال هذه الطوائف عن تعاليم الدين الاسلامى، ومباينتها كل المباينة للمذهب الجعفرى ان نلصقها — والحالة هذه بالشيعة — ؟ ونعدها من فرقها وقد تبرأ منها زعماء هذا المذهب، وبالغوا فى لعنهم، وحذروا الناس من اتباعهم، والأخذ بآرائهم.

أجل لا يسوغ ذلك ومن الإجحاف بحقوق هذه الطائفة الحقة أن تحسب أمثال هذه الطوائف المتنكبة عن جادة الحق عليها، وتحشر فى زمرتها، بل من الحيف على الباحث أن يلوث القلم بتغلية آرائها، وتفنيد مذاهبها

ومن العبث ان يتعب سبابته فى قلب صفحات حياتها المضطربة التى يسود لها وجه التاريخ، ويعرق لها جبين الإنسانية خجلا فنحن وإياهم على حد قول الشاعر:

ننفيهم عنا ولسنا منهم ولا هو منا ولا نرضاهم

ومن الغريب جداً إنا نرى الباحثين الذين اعتنوا بذكر «الملل والنحل» عدوا هذه الطوائف وأمثالها من الشيعة مع ما عرفت من خروجها عن الدين

---

١ - العقد الفريد ١ - ٢٥٠

الاسلامى ، وكأنهم عنى الله عنهم لم يلحظوا فى صدق هذه التسمية المتابعة فى العمل ، والمتابعة فى القول ، بل اكتفوا بالمعنى الأعم الشامل للجميع إلا وهو — حب على عليه السلام

وهذا من الاخطاء الفاضحة ، والزلات التى لا تغتفر ، إذا لو كان حب على عليه السلام هو الذى يحقق هـــذه التسمية لكان الأجدر بهم أن يعدوا طوائف الشيعة أيضاً إذ أنهم يقولون بإمامته ، ويدينون الله تعالى فى حبه ، ولا يغالون فى مودته مغالاة تخرجهم عن حضيرة الدين الاسلامى ، فإدخال من هو مسلم فى شيعة على عليه السلام أولى من إدخال من هو لصيق فى الدين.

والأغرب من ذلك كله إذا نرى أبا الفتح الشهرستانى فى كتابه يذكر الكاملية من الشيعة مع أنه يعترف نفسه أن رئيسها أبو كامل كان يكفر جميع الصحابة بتركها بيعة على عليه السلام ويطعن به أيضاً بتركه طلب حقه غير عاذر له بالقعود [1] .

وليت شعرى كيف تكون هذه الفرقة من شيعته عليه السلام مع طعنها به ، وعدم حمل افعاله على الصحة ، فهل طعنها به عليه السلام متابعة ومتابعة له فى نظر الشهرستانى ليطابق الاسم المسمى فتكون من شيعته بحق ؟ ؟

والحق أن الشهرستانى ، وغيره ممن ضرب على وتره لا يريدون بذكرهم لهذه الطوائف الضالة الا الحط من قدر الشيعة ، والنيل من كرامتها المصونة ، والحفظ من منزلتها السامية ليخرجوها للناس صورة مشوهة ، يمجها الطبع ، وينكرها السمع .

وإن طائفة ينسب اليها تارة التناسخ ، واخرى الحلول وتارة ثالثة تأليه الرجال ، لجديرة بأن يتجهما المجتمع الأنسانى ، وينظر اليها شزراً ، ويوسع مذاهبها انكاراً وتفنيداً ، ولا يعيرها اذناً صاغية ولا يمنحها أى أهمية .

والحق وإن من قـــرأ صفحة حياة الشيعة التى أخرجها لنا أبو الفتح الشهرستانى فى كتابه : « الملل والنحل » كما شاء ، وشاءت له ميوله وأغراضه ،

---

١ ـ الملل والنحل ، ص ١٣٠

ولم يكن مطلعاً على دخيلة الأمر ، وعارفاً بحقيقه الحال ـ لاشك أنه يصدر على الشيعة حكمه النهائى انها من الأمم الجاهلة التى لم تذق حلاوة العلم ، ولم تأنس بالتعاليم الإسلامية الحقة التى جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن الاسترسال للعاطفة ، والتمشى وراء الأغراض يدفعان الانسان لأن ينسب لخصمه كل شيء مادام يصيب بذلك غرضه ، فكم طمست من جراء هذه العاطفة معالم ، وضيعت بإزائها حقائق . وإنا لنرجع باللائمة على أمثال هؤلاء الباحثين الذين حكموا العاطفة الدينيه فى محرراتهم ، ولم يعطونا صورة صادقة تمثل لنا الحق بمظهره الجلى ؛ وكأنهم لم يريدوا بما كتبوا إلا أن يقنعوا انفسهم . أو يغالطوا ضمائرهم ، غير معتنين بإدلاء الحجج الكافية التى تؤيد نظرياتهم ، وتوطد أحكامهم ، وغير معتمدين فيما كتبوا على كتب خصومهم ، ولا من شك ان الدعاوى إذا كانت هذه صفتها ، وهذه منزلتها فى سوق العلم لامحالة تجبه بالرد ، ويكون نصيبها الإهمال فى نظر المنصف الذى يمشى وراء الحق ، مستضيئاً بنور العلم .

والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

واست ترى طائفة حافظة لحقوق المناظره ، ومراعية للحق كالشيعة فإنها لاتفوه بأمر مالم تدعمه بدليل ، ولا تنسب حكما لخصومها مادامت لم تتيقن وجوده فى كتبهم الخاصة ، وانك لتراها إذا وجدت قولا شاذاً لطائفة خاصة فلا ترجعه إلى طائفة غيرها مادامت تعلم يقينا ببرائتها منه ، فهذه الحائطية والحـــدثية وهما فرقتان من فرق المعتزلة يحدثنا عنهما الشهرستانى فى كتابه[1]

---

١ ـ الملل والنحل ص ٤٣

« انهما يقولان بإثبات حكم من أحكام الالوهية فى المسيح عليه السلام موافقة للنصارى على اعتقادهم أن المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة ، وانهما يقولان بالتناسخ زاعمين أن الله تعالى أبدع خلقه أصحاء سالمين ، عقلاء بالغين فى دار سوى هذه الدار التى هم فيها اليوم » .

وهذه المشبهة — وهى إحدى فرق السنة — يحدثنا عنها الشهرستانى[1] أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المخلصين من المسلمين يشاهدونه فى الدنيا والآخرة :

وأن معبودهم جسم ولحم ودم ، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ، ورأس ، واسان ، وعينين ، واذنين

وان له وفرة سوداء ، وله شعر قطط إلى غير ذلك من الصفات التى عددوها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن الغريب أنك تراهم يصفونه وصفاً كأنما قد شاهدوه ، وأحاطوا خبراً بكل ما هنالك ، فيقولون : اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه ، وقد بلغ الحال ببعضهم أن قال:

« إعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك »

وهكذا الكرامية — وهى إحدى طوائف السنة أيضاً — يحدثنا عنها الشهرستانى أنها تقول كذلك بالتجسيم ، وتجوز على الله الانتقال والتحول والنزول ، كل ذلك مما روته الشيعة ووعته غير أنها هل تنسب ذلك بوجه عام

---

١ ـ الملل والنحل ٧٧

إلى جميع طوائف السنه والمعتزلة !! كلا انها أبر وأتقى من أن تأخذ المحسن بجرم المسيء فتنسب أشياء إلى طائفة هي منها براء.

والحق أن هذه الظاهرة من مميزات هذه الطائفة التي تذكر فتشكر.

وليت الشهرستاني سلك هذا الطريق في كتابه «الملل والنحل» بل وليته على الأقل كف لسانه عن هذه الطائفة فلم يلصق برجالها الصالحين، وأعلامها الانفاذ «شيئاً إدا تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا».

فها هو ذا ينقل لنا أن الهشامين [1]:

هشام بن الحكم، وهشام بن سالم يقولان بالتشبيه، وأن الأول منهما غلا حتى قال بألوهيه علي عليه السلام وأن الثاني جوز المعصية على الأنبياء.

وأن زرارة بن أعين وافق هشام بن الحكم في القول بحدوث علم الله تعالى، وزاد عليه قدرته، وحياته، وسائر صفاته، وأنه لم يكن قبل خلق هذه الصفات عالماً، ولا قادراً، ولا حياً، ولا سميعاً، ولا بصيراً، ولا مريداً، ولا متكلماً.

ونقل عن مؤمن الطاق ـ رضوان الله عليه أنه وافق هشام بن الحكم في أن الله تعالى لا يعلم شيئاً حتى يكون، وأنه يقول:

بالتجسيم حيث ورد في الخبر

أن الله خلق آدم على صورته فلابد من تصديق الخبر إلى غير ما هنالك من أقوال منكرة نسبها إلى هؤلاء الأعلام الأجلاء الذين

---

١ ـ الملل والنحل ١٣٨

استقوا أحاديثهم من أهل البيت الطاهر معنعنة عنهم سلام الله عليهم عن جدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عليه السلام ، عن اللوح ، عن القلم ، عن الله عز وجل.

إنك لترى الشهرستاني عندما نسب إلى هشام بن الحكم القول بالتشبيه يرجع إلى الحق قليلا فيقول :

وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة فأن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ، ودون ما يظهره من التشبيه » .

وليت شعري إذا كان هشام هذه منزلته السامية في نظره فكيف يحكم عليه بضرس قاطع أنه يقول بألوهيـــة علي عليه السلام وينسب إليه تلك الأقوال الشاذة التي نربأ بأن يفوه بها من هو دونه ودونه بدرجات علماً وإيماناً .

كان هشام بن الحكم رضي الله عنه من أكبر أصحاب الامام جعفر بن محمد عليه السلام . وقد كان فقيهاً جليلا قوي الحجة ، صائب الرأي ، شديد الإيمان ، غزير العلم .

روى حديثاً كثيراً ، وصحب أبا عبدالله الأمام جعفر الصادق عليه السلام وبعده الإمام أبا الحسن موسى عليه السلام وقد بلغ هشام رحمه الله منزلة سامية عند الإمام الصادق عليه السلام لم يحظ بمثلها سواه من أصحابه عليه السلام ممن هو أكبر منه سناً ، وأقدم سابقة بالشرف بخدمته ، وتحمل العلم عنه عليه السلام .

وإني أضع الآن بين يديك بعض المثل التي تعطيك صورة ملموسة عما وصل إليه من الجلال والعظمة بنظر الإمام الصادق عليه السلام :

فقد روى أنه دخل على الإمام جعفر بن محمد عليه السلام بمنى — وهو

غلام أول ما اختلط عارضاه — وفى مجلسه شيوخ الشيعة كحمران ، وقيس الماصر ، ويونس بن يعقوب ، وأبى جعفر الأحول وغيرهم فرفعه على جماعتهم وليس فيهم إلا من هو أكبر منه سناً .

وما إن رأى عليه السلام أن فعله هذا قد كبر على أصحابه رضوان الله عليهم حتى ابتدرهم قائلا : « هذا ناصرنا بقلبه ، ولسانه ، ويده » .

وسأله مرة عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها فأجابه فقال له عليه السلام افهمت يا هشام فهما تدفع به اعداءنا الملحدين مع الله عز وجل .

قال هشام نعم قال عليه السلام ينفعك الله به ، ويثبتك عليه .

قال هشام فوالله ما قهرنى أحد فى التوحيد حتى قمت مقامى هذا .

فهل يسوغ لنا بعد أن قدمه الأمام الصادق عليه السلام على صغر سنه ودعا له بالانتفاع بما علمه والثبوت عليه ، وبعد أن شهد له بأنه ناصرهم بقلبه ، ولسانه ويده أن ينسب له تلك النسب الكاذبة التى لا يفوه بها إلا من كان قلبه خلوا من الأيمان ؟؟ !!

ولست ادرى على أى كتاب استند فيما ذكره عن هشام وغيره من أصحاب الأمام الصادق عليه السلام فى حين أن ليس لما ذكره عين ولا أثر فى كتب الشيعة على كثرتها وعلى عظم انتشارها بين الناس ايمكن أن يكون الشهرستانى قد اطلع عن امور غفلت عنها الشيعة مع شدة حرصها على استكشاف أخبار رجالها ؟؟

كلا لا يتصور ذلك فإن أهل مكة اعرف بشعابها ، وأهل البيت ادرى بالذى فيه ، ونحن إذا سلمنا أن الشيعة لم تطلع على رجالها أطلاعاً يساوى ما اطلع عليه الشهرستانى ولكنا هل نسلم ذلك أيضاً بالنسبة إلى الأمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذى عرفهم يوم كانوا بخدمته معرفة صحيحة ؟؟

كتابخانه تخصصى تاريخ اسلام وايران
تاسيس ١٣٧٤

إن الشهرستانى نفسه أخبرنا كما تقدم أن الامام الصادق عليه السلام تبرأ من زعيم الخطابية لما وقف على اعتقاده الفاسد ، ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه .

وإذا كان ما ينسبه الشهرستانى صحيحاً بالنسبة إلى الهشامين ، وزرارة ومؤمن الطاق رضوان الله عليهم فلماذا لم يتبرأ منهم الأمام الصادق عليه السلام كما فعل من قبل بغيرهم ؟؟

أجل إن الشهرستانى لما كان فى صدد بيان الفرق الإسلامية التى حدثت بعد النبي ﷺ والتى أشار إليها بالحديث المشهور :

ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة رأى أن فى بعض الأحيان لا يتم النصاب المقرر فى الحديث الشريف لذلك اضطر أن يزيد فى الطوائف حسب ميوله واغراضه ، ليتم بذلك كتابه ، ويكون طبقاً للحديث .

فلهذه الغاية ليس إلا تراه أزاد الهشامية والنعمانية وغيرهما ، وارتكب ما ارتكب وإلا فالله يعلم ورسوله والمؤمنون أن ليس أثر لهذه الطوائف التى ذكرها .

وليس هناك رجال انفردوا بمقالة وإنما هم شيعة إثنى عشرية ، بل من أعلام الإثنى عشرية الذين نعول عليهم فى الدنيا والدين ، ونعتمد عليهم فى الحديث والتفسير وغير ذلك مما حفظوه ووعوه عن الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم.

وليست هذه النسب أول ما بهت بها الشهرستانى الشيعة ، كما أنها ليست أول أخطائه ، ولو أردنا أن نناقشه الحساب بكل ما ألصق بالشيعة من أقوال كاذبة لطال بنا المقام . ولم أذكر ما ذكرت إلا لأطلع القارىء الكريم على قليل من كثير مما منيت به هذه الطائفة الحقة من المصائب والويلات التى كانت تتوالى عليها فى كل حين .

وغرضنا من هذه الطائفة الإثنى عشرية كما عرفت وهى التى أقصدها فى البحث فى هذا الفصل ، وفى غيره من سائر فصول الكتاب :

أسماء لهذه الطائفة :

لقد أطلق على هذه الطائفة أسماء عرفت بها وهى الأثنى عشرية والأمامية ، والجعفرية وكلها ألفاظ متعددة لفظاً متحدة معنى .

١ - الإثنى عشرية :

وإنما سميت بذلك لأنها تسوق الإمامة إلى إثنى عشر إماماً وهم أمير المؤمنين على . الحسن . الحسين . على بن الحسين . محمد الباقر . جعفر ابن محمد الصادق . موسى الكاظم . على الرضا . محمد الجواد على الهادى . الحسن العسكرى الحجة بن الحسن المهدى عليهم السلام .

٢ - الإمامية :

وسميت بهذا الإسم لقولها بوجوب نصب الإمام : فقد قالت بوجوب نصبه على الله عز وجل ، وجعلت الأمامة أصلا من أصول الدين ، وهذا الاسم — الإمامية - وإن كان يشمل كل من قال بوجوب الإمامة من الشيعة وإن لم يكن اثنى عشرياً غير أنه صار لهذه الفرقة الحقة لقبا خاصاً تمتاز به ، وتتبادر منه عند التلفظ .

٣ - الجعفرية :

وقد أطلق عليها هذا الإسم نسبة إلى الأمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ولم تسم بذلك لأنها تقف بالأمامة عليه إذ قد عرفت إنها تسوقها إلى إثنى عشر بل سميت بذلك لبروزها وظهور كيانها فى عصره سلام الله عليه فإنها كانت فى عصر آبائه عليه السلام خائفة وجلة تخشى أن يتخطفها الطير .

وما أن جاء عصره عليه السلام حتى تمكنت أن تهرز قليلا من آرائها ،

وتتظاهر نوعا ما بنظرياتها ومعتقداتها ، إذ أن الإمام الصادق عليه السلام لما كثرت تلامذته ، وانتشر علمه فى أنحاء البلاد الإسلامية ظهر عندئذ كيان من هذه الحيثية للشيعة فسموا « بالجعفرية » ومازالت تعرف به حتى الآن .

وربما أطلق على الإثنى عشرية « المتاولة » ولكن هذا الإطلاق حادث نشأ قبل أربعة قرون تقريباً ، وهذه الطائفة غير معروفة بهذا الإسم إلا فى سوريا ، وخاصة فى جبل عامل و بعلبك .

وأما الشيعة فى سائر البلاد الإسلامية فإنها لاتعرف إلا بالأسماء المتقدمة الذكر .

واسنا نعلم سببا لمنشأ هذه التسمية وخصوصيتها بتلك الشرذمة القليلة من الإثنى عشرية .

ومن الغريب جداً أنه توجد فئة قليلة بالشام من الشيعة لا يطلق عليهم أهل الشام هذا الإسم وإنما يطلقون عليهم إسم الشيعة أو الرافضة .

ويريدون بقولهم متوالى أى متولى وتابع لأهل البيت عليهم السلام فيكون متاوله مشتقة على غير القياس من تولى أى اتخذ ولياً إذ أن الجمع الصحيح ينبغى أن يكون (متولية) لامتاولة لأن متاولة مشتقة من توالى كما هو ظاهر ، وربما يكون متاولة مشتقة على القياس من توالى بمعنى تتابع نظراً لتوالى هذه الطائفة خلفاً عن سلف فى الموالاة لأهل بيت النبوة آل محمد عليه السلام والمفرد على هذا التقدير وإن كان على حسب القياس غير أن الجمع ليس كذلك إذ أن جمع متوالى متوالين لا متاولة :

خلافة أمير المؤمنين عليه السلام

إن الأمة الإسلامية ـ إلا من شذ منها ممن لا يعتد بقوله ـ مجمعة على وجوب الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للعلة التى اقتضت

بعث الأنبياء وإرسال الرسل من هداية البشر إلى ما فيه صلاحهم من حيث المعاش والمعاد ، غير أنه قد وقع النزاع والخصام فى الذى يتسنم أريكة الخلافة هل بإجماع المسلمين أم بالنص .

وقد ذهبت الشيعة - على اختلاف طبقاتها - إلى الثانى منهما حيث أنها تعتبر أن الإمامة منصب آلهى ، وركن من أركان الدين ، يجب النص على الإمام كما يجب النص على النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنه خليفته ، ووصيه ، والقائم بالأمر من بعده .

وإنه يجب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذكره للناس وتعريفهم به لئلا يختلفوا من بعده فيضلوا وها نحن أولا الآن نذكر شيئا يسيراً ندعم هذه النظرية تاركين التفصيل .

ولعل الظروف تساعدنا فى المستقبل إن شاء الله فنتهز فرصة نؤلف نؤلف فيها كتابا فى الإمامة نؤدى الموضوع حقه ونلم به من جميع أطرافه وإن غداً لناظره قريب .

إن الشيعة ترى من أدلتها الساطعة على خلافة على أمير المؤمنين عليه السلام ما قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حقه يوم غدير خم[1]

فقد روى عنه المخالف والمؤالف أنه قال : « يا أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتينى أمر ربى فأجيب ، وإنى مسؤل وإنكم مسؤلون فما أنتم قائلون ، فأجابوه قائلين :

---

١ - هو موضع بين مكة والمدينة قريب من الجحفة ، عن هامش مستدرك الحاكم على الصحيحين، وكان هذا الإنذار من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة الحرام - أى قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأقل من ثلاثة أشهر. - الناشر -

نشهد أنك قد بلغت ، وجاهدت ، ونصحت فجزاك الله خيراً فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأني عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور .

قالوا : بلى نشهد بذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

اللهم أشهد ثم أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بحض على التمسك بكتاب الله فأسهب ، ثم وصى بأهل بيته خيراً فأطال ثم سأل الناس فقال ألست أولى بكم من أنفسكم فأجابوا جميعهم بنعم مصدقين مذعنين فرفع حينذاك يمين علي عليه السلام — وكان إلى جنبه — وقال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وآل من والاه ، وعاد من عاداه وأحب من أحبه ، وابغض من بغضه ، وانصر من نصره ، وأعن من أعانه ، وأخذل من خذله ، وأدر الحق من حيث دار .

ولست أراني الآن في حاجة أكيدة إلى بيان صحة هذا الحديث الشريف فإنه من الأحاديث المتواترة التي لا ينكرها إلا مكابر وقد قال عنه العلامة ابن حجر في « صواعقه » : [1] « إنه حديث صحيح لا مرية فيه » .

وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وطرقه كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتي ، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ، ولا التفات لمن قدح في صحته ، ولا لمن رده بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقول بعضهم اللهم وال من والاه موضوعة مردودة .

---

١ - الصواعق المحرقة ص ٣٥ ، مسند الإمام أحمد ٢٥ و ٨٨ و ١١٩

فقد ورد ذلك طرق صحح الذهبي كثيراً منها ، وبالجملة فما زعموه مردود من وجوه نتلوها عليك وإن طالت لمسيس الحاجة اليها ، فأحذر ان تسأمها وتغفل عن تأملها اه

وأنت ترى بعد أن رواها ستة عشر صحابيا رضوان الله عليهم لاحاجة لأن نتكلم فى الحديث من حيث صحته وإنما الذى يجدر بنا أن نتكلم عنه من حيث الدلالة .

وهذا ما أود أن أحدثك عنه الآن فاستمع لما يتلى .

إن معنى قوله من كنت مولاه فهذه على مولاه اى من كنت أولى به من نفسه فهذا على اولى به من نفسه ، وليس هناك سلطة بهذه المثابة إلا الخلافة، ويدلنا على ان المولى بمعنى الأولى وحدة السياق فأنك تراه صلى الله عليه وسلم بلا فصل عطف بالفاء على قوله : من كنت مولاه ، والفاء بغير شك تدل على الترتيب كما هو مقرر فى القواعد العربية .

ولا يصح أن يراد بالفاء الاستيناف ليدعى أن المراد من المولى إذ لم يعهد ذلك فى علم النحو .

وليس عزيزاً مجيء المولى بمعنى الأولى فقد ورد ذلك فى اللغة قال الجوهرى [1] فى صحاحه « وأما قول لبيد .

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

فيريد أنه أولى موضع أن يكون فيه الخرب » .

وقد جاء ذلك فى القرآن المجيد فى صورة الحديد قوله تعالى (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير) .

---

١ - الملل والنحل ٢ - ٤٣٥

وقال فى تفسيرها الفخر الرازى [١] قال الكلبى : هى أولى بكم وهو قول الزجاج والفراء وأبى عبيدة وقال الطبرى فى تفسيرها [٢] وقوله : هى مولاكم يقول النار أولى بكم .

وهكذا فسرها الزمخشرى فى « الكشاف »[٣] واستشهد على صحة ذلك بقول لبيد المتقدم، وقد قال السبط بن الجوزى فى تذكرته فى تفسير حديث من كنت مولاه فعلى مولاه بعد أن ذكر عشر معان للولاية « فتعين الوجه العاشر وهو الأولى ومعناه من كنت أولى به من نفسه وقد صرح بهذا المعنى الحافظ أبو الفرج يحيى بن سعيد الثقفى الاصفهانى فى كتابه المسمى « مرج البحرين » فإنه روى هذا الحديث بإسناده إلى مشائخه وقال فيه : فأخذ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على عليه السلام فقال : من كنت وليه وأولى به من نفسه فعلى وليه .

فعلم ان جميع المعانى راجعة الى الوجه العاشر

ودل عليه قوله ألست اولى بالمؤمنين من أنفسهم

وهذا نص صريح فى إثبات إمامته ، وقبول طاعته ، وكذا قوله صلى الله عليه وآله وسلام أدر الحق معه حيثما دار وكيفما دار.

وفيه دل على انه ما جرى خلاف بين على عليه السلام وبين أحد من الصحابة إلا والحق مع على وهذا باجماع الأمة اهـ ،

ولولا ضيق المجال لاتيتك بكثير من الشواهد الدالة على صحة اطلاق المولى على أولى علاوة على ذكرت

ومن الغريب إنا نرى ابن حجر يشكك فى صحة هذا الإطلاق مع ماعرفت

---

١ - تفسير الفخر الرازى ٨ - ١٣١

٢ - تفسير الكشاف ٤ - ١٣١

٣ - الملل والنحل ٢ - ٤٣٥

من وروده فى القرآن الكريم وكلام العرب ، ومهما يكن من شيء فلا يهمنا كثيراً إن آمن بمعناه أو كفر ما دام نفسه يعترف بورود المولى بمعنى المتصرف فى الأمور قال : [1] « نسلم ان معنى المولى ما ذكروه بل معناه الناصر لأنه مشترك بين معان كالمعتق والعتيق والمتصرف فى الأمر والناصر والمحبوب ، وهو حقيقة فى كل منها وتعيين بعض معانى المشترك من غير دليل يقتضيه ، تحكم لا يعتد به » .

وأنت تراه لا يناقش الشيعة فى دلالة المولى على الخلافة : إذا كان المولى بمعنى المتصرف فى الأمور ، وإنما الذى ينكره عليهم هو الحكم بكون المولى بمعنى المتصرف مع انه لا دليل — بزعمه — يعين هذا المعنى ، فالذى يجب علينا الآن — والحالة هذه — أن نبرهن على هذه الحقيقة الراهنة التى تذهب اليها الشيعة من التخصيص ببعض افراد المشترك .

لقد ذكر اللغويون للمولى معان كثيرة [2] المالك ، المعتق . المعتق : الصاحب . القريب كابن العم ونحوه . الجار . الحليف . الإبن . العم . النزيل . الشريك . إبن الأخت . الوالى هو الذى يلى عليك امرك وهما بمعنى واحد ومنه الحديث : أيما امرأة نكحت بغير اذن مولاها (اى متولى أمرها)

ويطلق أيضاً على الناصر والمنعم عليه المحب والتابع والصهر ، ولا يمكن ان يراد من المولى المعنيان الاولان وذلك لان علياً امير المؤمنين عليه السلام لم يكن مالكا لكل من كان رسول الله مالكا له وكذلك المتعق فإنه لم يكن معتقاً لكل من كان رسول الله معتقاً له وكذلك لا يمكن الثالث إذا لم يكونا معتقين واما القريب كابن العم فانه لا فائدة فيه إذ ليس فيهم من لا يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام ابن عم كل من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

---

١ ـ الصواعق المحرقة ص ٣٤

٢ ـ تاج العروس ١٠ ـ ٣٩٩

ابن عم له ، وكذا لا يمكن الحليف إذا لم يكن عليه السلام حليفاً لكل من كان صلى الله عليه وآله وسلم ، حليفاً له ، وهكذا باقي المعاني وليس هناك ما يمكن أن يكون محتملا سوى الناصر والولى — الذى بمعنى المتصرف — وليس الأولى مراداً قطعاً حيث لا فائدة فى ذلك.

إذ ليس هناك فرد يجهل أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام كان ناصراً لكل من نصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فليس إذا من المعقول أن يهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك الاهتمام للشديد فى جمعهم ويأتى لهم بتلك المقدمات مع طلبه الشهادة منهم على كل فقرة فقرة ثم تكون النتيجة أن يخبرهم بشىء قد قتلوه خبراً وعرفه كل أحد .

وايم الله إن نسبة قول كهذا لما يحط من قدر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويحفظ من منزلته السامية ، وبما يفسح عندئذ المجال للشكوك فيه حكمته .

والمروى بالأسانيد المعتبرة إن الذى حدا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ما يقول فى غدير خم فى حق على عليه السلام هو: نزول آية : «يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته »[1] .

وهذه الآية الشريفة تدلنا دلالة واضحة على أن هناك أمراً عظيما أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغه ، وإنه إن لم يبلغ الناس ذلك الأمر وكتمه كأن كأن لم يبلغ رسالته ، وإنه إن بلغهم ذلك الأمر الوارد فى شأن على عليه السلام عصمه الله تعالى من الناس ووقاه شرهم .

---

(١) قال الفخر الرازى فى سبب نزول آية يا أيها الرسول نزلت الآية فى فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال : من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . فلقيه عمر فقال هنيئاً لك يا ابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن على اه .

وهذا لا يتفق مع ارادة الناصر من المولى حيث أن إخباره صلى الله عليه وآله وسلم بنصرة علي أمير المومنين عليه السلام للمسلمين لايستدعي كل ذلك ، فلا يوجب إغفال هذا الأمر عدم تبليغ الرسالة مادام ذكره واغفاله على حد سواء بالنسبة إليهم .

كما أنه لا يترتب على التصريح به ضرر من الناس ما دام الله تعالى قد أخبرهم قبل هذه الآية بأن النصرة عامة بين المسلمين ولم يحصل منه ضرر فقال عز من قائل :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

لقد عرفت مما قدمناه لك أن لفظ المولى ظاهر بمعنى المتصرف بل متعين فلو أراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : غيره من أفراد المشترك لوجب عليه نصب القرينة على ذلك وقد علمت – مما تقدم – أن لا قرينة تؤيد الناصر فوجب حمله على المتصرف ، على أن حمله على غيره لا يتصور إلا على أحد أمرين .

إما أن نقول إنه غير عالم بصوغ الكلام، وغير قادر على إبراز مايكنه ضميره.

وإما أن نذهب إلى أنه أراد الابهام والتعمية على الناس وكلاهما مما يجب تنزيهه عنهما صلى الله عليه وآله وسلم .

أما الأول: فلأنه بقطع النظر عن النبوة هو أفصح من نطق بالضاد .

وأما الثاني فلأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث للإرشاد وهداية البشر ، وليس من الهداية أن يلقي عليهم كلاما غامضا يصعب على اتباعه معرفة المراد منه ، على أنا بعد علمنا بتشديده عز شأنه على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ ذلك الأمر عرفنا أنه بلغهم بعبارة لا تقبل التشكيك أو الترديد حيث لا يكون تبليغه تبليغاً تاما إلا إذا فهمه المكلفون .

وهذا في غاية الوضوح .

والحق أن المولى بمعنى المتصرف مما لا ينبغي أن يشك فيه ، ونحن بقطع

النظر عن القرائن التى أقناها على صحة هذه الدعوى فقد جاءت نصوص لا تقبل التأويل تصرح بذلك ، فها هو حسان بن ثابت تراه يستأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول شعراً فى ذلك المشهد الرهيب عندما نصب الامام علياً عليه السلام علماً للناس فأذن له فأنشد قائلا :

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالنبي مناديا
يقول فمن مولاكم ووليكم فقالوا ولم يبدو هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا وما لك منا فى المقالة عاصيا
فقال له قم يا على فإننى رضيتك من بعدى إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهـــذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا

وما أن فرغ حسان من شعره هذا حتى قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك »

وأنت ترى أن حسان لم يفهم من المولى إلا الإمامة لذلك تراه ينشد « فقال له قم . . الخ » ولا يسعنا أن نقول أنه اخطأ بفهمه هذا مع ماعرفت من ثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه عند فراغه من إنشاده .

ولو أنه كان مخطئاً بفهمه لأنكر عليه صلى الله عليه وآله وسلم على جهله ويثنى عليه مع ذلك كله إذ يستلزم ذلك إضلاله وإضلال خلق كثير .

وما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا هاديا ومبشراً ونذيراً :

لقد شاع فهم الإمامة من المولى حتى حدثت بذلك الركبان ، ونظمه الشعراء فى البدو والحضر ، وفى الاقامة والسفر ، وفى أيام السلم وأيام الحرب

وقد أنشد قيس بن سعد بن عباده رضوان الله عليه — وهو متوجه إلى صفين من قصيدته اللامية :

وعلى إمامنـا وإمام اسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي من كنت مولا « فهذا مولاه خطب جليل

ولو أردنا أن نجمع ما قيل حول حديث الغدير لاحتجنا إلى مجلد ضخم [١]

وقد صح عن عمر بن الخطاب (رض) انه قال لعلى عليه السلام يوم غدير خم [٢]

هنيئالك يابن أبى طالب أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة

وقيل له أيضاً كما يحدثنا به ابن حجر [٣]

أنه قيل له إنك تصنع لعلى شيئاً لا تصنعه بأحد قال : « أنه مولاى » ولا شك إنه لم يرد من مولاى معنى الناصر إذ ليس نصرة المسلمين ميزة خاصة لأمير المؤمنين على عليه السلام تستدعى أن يصنع معه شيئاً لا يصنعه مع أحد إذ أنا نعتقد أن كثيراً من الصحابة من كان متصفاً بهذه الصفة وأن المؤمنين أولياء بعض فلابد إذاً أن يكون عمر أراد بذلك الإمامة لما عرفت من شواهد الحال القاضية بهذا الحمل .

ومما يشهد لما ادعيناه ايضاً أن الحارث بن النعمان الفهرى [٤] قصد النبى صلى الله عليه و آله وسلم فى المدينة المنورة ليتثبت الخبر منه صلى الله عليه وآله وسلم وعندما دخل المدينة قصد المسجد النبوى الشريف رأساً ودخل على النبى صلى الله عليه و آله وسلم فوجده جالساً بين أصحابه فجثا بين يديه وقال :

يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا اله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا

---

١ ـ راجع موسوعة الغدير التاريخية لسماحة الحجة الشيخ عبد الحسين الامينى وقد ظهر منها ١١ مجلداً وطبع فى العراق وايران ولبنان ـ الناشر ـ

٢ ـ تفسير الرازى ٣ ـ ٦٣٦ نهاية ابن الاثير ٤ ـ ٢٤٥

٣ ـ الصواعق المحرقة ص ٦٦ .

٤ ـ السيرة الحلبية ٣-٣٠٨ وذكر ذلك ايضاً العلامة أبو السعود فى تفسيره على هامش الجزء ٨ من « مفاتيح الغيب » للرازى ص ٢٩٢ والعلامة الخطيب الشربينى فى الجزء ٤ من تفسير « السراج المنير » ٣٦٤

ذلك منك وإنك أمرتنا أن نصلى فى اليوم والليلة خمس صلوات ، ونصوم شهر رمضان ، ونزكى أموالنا ، ونحج البيت فقبلنا منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعى ابن عمك على ففضلته وقلت :

من كنت مولاه فعلى مولاه فهل كان هذا الشيء منك أو من الله فاحمرت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال :

والله الذى لا اله إلا هو إنه من الله وليس منى قال ذلك ثلاث مرات فغضب الحارث ونهض وهو يقول :

اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً ، فأرسل علينا حجارة من السماء ، أو أتنا بعذاب اليم ، ووالله ما كاد يبلغ الحارث هذا باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه وخرج من دبره فمات

وأنزل الله تعالى قوله: (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين... الآية) فلو ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد من المولى كما يدعيه الخصم الناصر لما اهتم ذلك الرجل هذا الاهتمام ، وشد الرحال للاستفسار عن هذا الخبر وسماعه بنفسه من فم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما احتاج الى ان يوجه اليه هذا السؤال « هذا الشيء منك ام من الله » ولا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حاجة لأن يقسم له ان ما فعله ليس منه وإنما هو من مكرراً عليه ذلك ثلاثا ، ولا كان الحارث يطلب من الله العذاب الأليم . نعم :

كل ذلك لم يكن لو أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المولى الناصر حيث قد كان فى استطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيبه بعد أن جاءه مستفهما إنك قد أخطأت بفهمك من المولى الأفضلية وإنما أردت بها إثبات النصرة لعلى عليه السلام .

ولا أخال أن الحارث بعد سماع هذا الجواب منه صلى الله عليه وآله وسلم

يشك فى صحة قوله هذا ، متهما إياه مع ذلك ، إذ ليس يشك فى إثبات هذه الصفة لأمير المؤمنين على عليه السلام لاسيما بعد معرفة أن قد ورد فى القرآن الكريم مايصرح بأن النصرة عامة .

وبالجملة إن حديث الغدير من النصوص الصريحة على إمامة على أمير المؤمنين عليه السلام وليس النص على خلافته بعزيز فقد جاءت نصوص كثيرة تصرح بهذه الحقيقة الراهنة .

فهذا العلامة المعتزلى ابن أبى الحديد يحدثنا فى « شرح النهج » :
إن أم سلمة قالت لعائشة — مذكرة لها ببعض الأحاديث الواردة فى فضل أمير المؤمنين عليه السلام لتردعها عن محاربته عليه السلام .

« اذكرك أيضاً كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى سفر له وكان على عليه السلام يتعاهد نعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقصت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها وقعد فى ظل شجرة ، وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يحدثاه فيما أراد ثم قالا يارسول الله أنا لا ندرى قـــدر ماتصحبنا فلو علمتنا من تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا فقال لهما :

إما أنى قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران فسكتنا ثم خرجا فلما خرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له وكنت أجرأ عليه منا ، من كنت يارسول الله مستخلفاً عليهم فقال : خاصف النعل فنزلنا فلم نر أحداً إلا علياً فقال هو ذاك ، فقالت عائشة : نعم اذكر ذلك .

ومن الغريب جداً أن ابن أبى الحديد مع اعترافه بصحة هذه الرواية

تراه قد راوغ فأولها على خلاف ظاهرها حاملا لها على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يقول :

« لو استخلفت أحداً لاستخلفته وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف».

ونحن نأخذ بما روى ونترك مارأى إذ ليس المراد من قوله: ولو فعلت لتفرقتم كما تفرقت بنو إسرائيل أنه لم يستخلف ولو استخلفت لكان علياً إذ ليس هذا منطوقاً لكلامه ولا مفهوماً كما لايخفى .

وإنما أراد أخبارهما بأنه مع علمه بمكانه لوفعل لتفرقوا عنه ، ولا يستلزم من قوله هذا إنه لم يفعل بعد ولم يستخلف وهذا من الوضوح بمكان على أن تفرق أمته عنه عليه السلام لا يكون علة وسبباً داعياً لعدم نصب الإمام على الخلق حيث يجب عليه عقلا نصبه علماً للناس .

إذا كان يراه لائقاً للإمامة ، ولو كان التفرق مانعـــاً لمنع من نصب هارون لتفرق بني إسرائيل عنه ، بل كان ينبغي أيضاً إسقاط جل التكاليف الشرعية إذا عرف الله عز وجل عدم إطاعة عباده ، وتفرقهم عن أوامره وهذا واضح الفساد .

ومما يدلنا على خلافته عليه السلام مارواه الإمام أحمد[1] معنعنا عن علي عليه السلام « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

أو دعا رسول الله بني عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجـــذعة ، ويشرب الفرق ، قال : فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا قال :

وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس .

---

١ - مسند أحمد ١ - ١٥٩

ثم دعا بغمر فشربوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب فقال يابنى عبد المطلب : إنى بعثت لكم خاصة وإلى الناس عامة وقد رأيتم من هذه الآية - وأنذر عشيرتك الأقربين — مارأيتم فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ، قال : فلم يقم إليه أحد قال فقمت إليه وكنت أصغر القوم قال : فقال اجلس : ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه فيقول :

أجلس حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى ، وذكر نظير ذلك أيضا[1] . فى غير موضع ولكن بلفظ :

« من يضمن عنى دينى ومواعيدى ويكون فى الجنة خليفتى فى أهلى » وقد روى أيضاً فى مسنده[2] .

عن ابن عباس رضوان الله عليه أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم لبنى عمه « أيكم يوالينى فى الدنيا والآخرة قال وعلى معه جالس فأبوا فقال على أنا أواليك فى الدنيا والآخرة قال : أنت ولى فى الدنيا والآخرة .

وروى ابن عباس أيضا أنه قال له أنت ولى فى كل مؤمن بعدى، وروى عنه فى نفس الصفحة أنه لما خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوة تبوك قال له عليه السلام « أخرج معك قال فقال له نبى الله لا ، فبكى على فقال له أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبى ، أنه لا ينبغى أن اذهب إلا وأنت خليفتى »[3] .

وهذه الروايات كلها صريحة فى خلافة على أمير المؤمنين عليه السلام

---

١ - مسند أحمد ١ - ١٥٩

٢ - مسند أحمد ١ - ١١١

٣ - ورواه فى نفس الجزء ص ١٧٠ وص ١٧٣ وص ١٧٥ وص ١٧٧ وص ١٨٤ وص ١٨٥ فراجع

غير قابلة للتأويل ، ودلالة الرواية الأخيرة على المقصود أيضاً واضحة حيث أنه صلى الله عليه وآله وسلم شبهه بهارون ، وأثبت له كل ما كان هارون متصفاً به من الصفات ماسوى النبوة .

ومن المعلوم أن هارون كان خليفة لموسى عليه السلام فيكون أمير المؤمنين على عليه السلام خليفة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لا ينبغى أن أذهب إلا وأنت خليفتى قرينة قوية على إرادة الخلافة من تشبيه على بهارون عليهما السلام .

وليت شعرى إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستطع فى تلك المدة القصيرة إلا أن يترك علياً عليه السلام خليفة على من بقى من الناس فكيف يمكننا الاعتقاد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارق الأمة وتركهم هملا من غير أن يعين لهم إماماً يرشدهم إلى الصواب ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

أجل إن عدم التعيين لما يرفضه العقل ، ويأباه حنان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى مابعث إلا رحمة للعالمين .

وقد روى لنا مسلم كلاما لابن عمر (رض) يصرح بوجوب الاستخلاف قال[1] عن ابن عمر « قال دخلت على حفصة فقالت : أعلمت أن أباك غير مستخلف ، قال : قلت ما كان ليفعل ، قالت : إنه فاعل ، قال : فحلفت أن أكلمه فى ذلك فسكت حتى غدوت ولم أكلمه ، قال : فكنت كأنما أحمل بيمينى جبلا حتى رجعت فدخلت عليه فسألنى عن حال الناس وأنا أخبره قال : ثم قلت له : إنى سمعت الناس يقولون مقالة فآليت أن

---

١ - صحيح مسلم ٢ - ١٠٨

أقولها لك : زعموا أنك غير مستخلف، وأنه لو كان لك راعى إبل ، أو راعى غنم ثم جاءك وتركها رأيت أن قد ضيع ، فرعاية الناس أشد .

وإنك لو تأملت كلام ابن عمر جيداً علمت مبلغ اعتقاده فى وجوب الاستخلاف فإنك تراه عندما أخبرته أخته حفصة فى عزم أبيه على ترك الاستخلاف يجبها من غير ماتردد « ما كان ليفعل » فهو يصدر حكمه السلبى قبل أن يطلع على حقيقة الأمر نظراً إلى أن الاستخلاف بمعتقده ضرورى للناس لا ينبغى من مثل عمر (رض) أن يغفل عنه .

وإنك لو نظرت إلى قوله فحلفت أن أكلمه ، وقوله : فكنت كأنما أحمل بيمينى جبلا، علمت مزيد اهتمامه فى شأن الإستخلاف ، وأن احتجاجه هذا على أبيه ، وتشبيهه الرعية بالغنم أو الإبل .

وتشبيه الإمام بالراعى لمن أبلغ الاحتجاجات ، وأحسن مايتصور فى مثل هذا المقام ، فنحن إذا نضم أصواتنا إلى صوت ابن عمر (رض) .

ونحتج باحتجاجه على من ينكر النص ، ويدعى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد مات وترك الناس هملا من غير أن يعين لهم إماماً يلحظهم بعنايته ، ويحفظهم — من كل سوء — بجليل رعايته .

واست أدرى لماذا ينكرون النص فى حين إنا نعلم جميعاً أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ناظراً هذا الشقاق ، عالماً بهذا الافتراق الذى حصل بعده صلى الله عليه وسلم فى الطوائف الإسلامية كما يشهد لذلك حديث ستفترق أمتى الذى تقدم ذكره .

فهل أراد — وحاشاه — للناس العماية بعد الهداية ، والضلال بعد الهدى ، والظلمة بعد النور ، والافتراق بعد الاتفاق ؟؟

كلا فليس من المتصور أن يجعلها بعده جاهلية بعد إسلام ، وكفراً بعد

إيمان ، فإنه لم يبعث إلا ليجمع الناس على التوحيد ، وتوحيد الكلمة ، وبعيد عن هذه مهمته أن يتركهم وأنفسهم من غير أن يعين لهم الإمام الذى يقتفون أثره .

والحق أن الخلافة من الأمور التى لابد أن ينص عليها النبى صلى الله عليه وسلم لحاجة الناس الأكيدة إليها .

ولأن ذلك عادة من كان قبله من الرسل والأنبياء ، فإنه لم يعهد أن كان نبى ولم يكن له وصى .

وقد عرفت النصوص الصريحة التى تدل دلالة واضحة على خلافة أمير المؤمنين على عليه السلام ، وبين أيدينا كلمات من عمر بن الخطاب رضى الله عنه تشعر بهذا النص .

فهذا العلامة ابن أبى الحديد يحدثنا أن ابن عباس قال .

« مر عمر بعلى عليه السلام وأنا معه بفناء داره فسلم عليه فقال له على عليه السلام أين تريد قال البقيع قال أفلا نصل جناحك ونقوم معك قال بلى فقال على عليه السلام قم معه فقمت فشبت إلى جانبه فشبك أصابعه فى أصابعى ومشينا قليلا حتى أنا خلفنا البقيع قال لى يا ابن عباس .

وأما والله أن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنا خفناه على اثنين ، قال ابن عباس :

فجاء بكلام لم أجد بدا من سؤاله عنه فقلت : ما هما يا أمير المؤمنين بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا إنا خفناه على اثنين ، قال ابن عباس .

فجاء بكلام لم أجد بدا من سؤاله عنه فقلت: ماهما ياأمير المؤمنين، قال: خفناه على حداثة سنه ، وحبه بنى عبد المطلب .

وأنت ترى عمر (رض) يصرح بأحقية علي عليه السلام بالخلافة ولكن يقول :

منعهم عن مبايعته حبه لبني عبد المطلب ، وصغر سنه .

والمنصف يعلم أنه لا أثر لصغر السن أو كبره ، وإنما الأثر للكفاءة ، ولعل السر في تأمير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسامة على أبي بكر وعمر وامثالهما ممن هو أكبر منه سناليبين لهم أن الفضيلة ليست بصغر السن أو كبره ، وليكون هذا التأمير توطيداً لخلافة أمير المؤمنين عليه السلام لئلا يختلفوا في إمامته من حيث صغر سنه .

وقد حدثنا ابن أبي الحديد أيضاً[1] فقال :

« روى أبو بكر الأنباري في أماليه أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب فقال عمر :

حق لمثله أن يتيه ، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام .

وهو بعد أقضى الأمة ، وذو سابقتها ، وذو شرفها ،

فقال له ذلك القائل : فما منعكم يا أمير المؤمنين عنه قال : كرهناه على حداثة السن وحبه بني عبد المطلب » .

وقد ذكر لنا العلامة ابن أبي الحديد أنه قرأ هذه الأخبار على النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد وساله عن رأيه بها قائلا :

ما أراها إلا تكون دالة على النص ، ولكني استبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شخص بعينه كما استبعدنا

---

١ - شرح النهج ٣ - ١١٥

من الصحابة على رد نصه على الكعبة ، وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدين ، فأجابه النقيب حينئذ قائلا » .

أبيت إلا ميلا إلى المعتزلة ثم قال له : إن القوم لم يكونوا يذهبون فى الخلافة إلى أنها من معالم الدين، وإنها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصلاة والصوم ، ولكنهم كانوا يجرونها مجرى الأمور الدنيوية ويذهبون لهذا مثل تأمير الأمراء ، وتدبير الحروب ، وسياسة الرعية .

وما كانوا يبالون فى أمثال هذه من مخالفة نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأوا المصلحة فى غيرها، ثم ساق له أموراً كثيرة أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتنفيذها وخالفوه فى ذلك كنصه صلى الله عليه وآله وسلم على خروج أبى بكر وعمر فى جيش أسامة وعدم خروجهما .

وكدفع عمر لأبى هريرة فى صدره حتى وقع حينما أراد أن يعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نداءه بالناس: «من قال لا آله إلا الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة » .

وكعدم عملهم بوصيته صلى الله عليه وآله وسلم من إخراجهم لنصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر .

وتركهم أشياء كثيرة من النصوص التى هى أدخل فى باب الدين منها فى باب الدنيا ، وذلك : بإسقاطهم سهم ذوى القربى .

وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وغير ذلك مما ذكره النقيب للعلامة ابن أبى الحديد .

وقد ذكر النقيب الملاحظات التى لاحظها الناس فى صرف الأمر عن على عليه السلام ثم قال :

«واحتج رؤساؤهم بأنا خفنا الفتنة وعلمنا أن العرب لا تطيعه .

وتأولوا عند أنفسهم النص ولا ينكر النص .

وقالوا : إنه النص ، ولكن الحاضر يرى مالا يرى الغائب ، والغائب قد يترك لأجل المصلحة الكلية إلى آخر ما ذكر » .

وقد صرح بهذه الحقيقة عمر بن الخطاب (رض) وبين لابن عباس أنهم ما دفعهم إلى صرف على عن الأمـــر إلا خشية أن لا يجتمع عليه العرب لما قد وترها فى الجاهلية ، قال ابن عباس :

« كنت أسير مع عمر بن الخطاب فى ليلة وعمر على بغل وأنا على فرس فقرأ آية فيها ذكر على بن أبى طالب فقال :

أما والله يا بنى عبد المطلب لقد كان على فيكم أولى بهذا الأمر منى ومن أبى بكر فقلت، فى نفسى: لا أقالنى الله إن أقلته فقلت : أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين وأنت وصاحبك وثبتما واقترعتما الأمر منادون الناس فقال : إليكم يا بنى عبد المطلب أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب، فتأخرت وتقدم هنيهة فقال سر لا سرت وقال : اعد على كلامك فقلت : إنما ذكرت شيئاً فرددت عليك جوابه ولو سكت سكتنا ، فقال :

إنا والله ما فعلنا الذى فعلنا عن عداوة ولكن استصغرناه وخشينا أن لا تجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها ، قال :

فأردت أن أقول كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعثه فينطلع كبشها فلم يستصغره ، أفستصغره أنت وصاحبك ؟؟ فقال : لاجرم فكيف ترى والله ما نقطع امراً دونه ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه[1] .

ويحدثنا العلامة ابن أبى الحديد[2] فى شرح النهج عن ابن عباس رحمه الله قال : « أنى لأماشى عمر بن الخطاب فى سكة من سكك المدينة إذ قال لى :

يا ابن عباس ما أرى صاحبك إلا مظلوماً فقلت فى نفسى والله لايسبقنى بها فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته ، فنزع يده من يدى

---

١ - محاضرات الأدباء الراغب الأصفهانى الجزء الثانى

٢ - شرح النهج ٣ - ١٠٥

ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال يا ابن عباس :

ما أظنهم منعهم عنه إلا أنه استصغره قومه فقلت في نفسي هذه شر من الأولى ، فقلت والله : ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك فأعرض عني وأسرع فرجعت عنه » .

وروى أيضاً عن ابن عباس[1] أنه قال عمر عندما ذكروا علياً عليه السلام يا ابن عباس :

إن أول من رائكم عن هذا الأمر أبو بكر .

إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة ، قلت :

لم ذاك يا أمير المؤمنين ألم تنلهم خيراً ، قال : بلى ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم حجفاً حجفاً .

ونقل بعد هذا مرفوعاً إلى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : لقي علي عليه السلام عمر فقال له عليه السلام :

أنشدك الله هل استخلفك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا : قال :

كيف تصنع أنت وصاحبك قال :

أما صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أنا فسأخلعها من عنقي إلى عنقك .

فقال : جذع الله أنف من ينقذك منها ، لا ولكن جعلني الله علماً فإذا قمت فمن خالفني ضل » .

وكل ماسقناه لك من كلام عمر صريح بخلافة علي عليه السلام فإنك ترى عمر رضي الله عنه لا يكتفي بالتصريح بأن علياً عليه السلام أولى منه ومن أبي بكر حتى يقر بمظلوميته .

---

١ - شرح النهج ١ - ١٢٤ .

ولا شك أنه لا يرى هذا الرأى إلا لأنه يعتقد أن الخلافة تراث على ونحلته لذلك تراه يقول لأمير المؤمنين عليه السلام .

« أما صاحبي فقد مضى لسبيله ، وأما أنا فسأخلعها من عنقى إلى عنقك » ولا من شك أنه لا يخلع نفسه بعد انعقاد البيعة له — إلا لأنه يؤمن بإمامة على عليه السلام ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم نص عليه بالخصوص، ولا غرو فهو صاحب الكلمة المشهورة « بخ بخ لك يا على لقد أصبحت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة » .

إن عمر بن الخطاب « رض » — وهو عربى مبين قد شهد غدير خم ، ووعى ماقاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى شأن على عليه السلام فى ذلك المشهد الرهيب « وسمع - ولا شك — تلك النصوص المتقدمة ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه أنس[1] :

« إن خليلى ووزيرى ، وخليفتى وخير من أترك بعدى ، يقضى دينى ، وينجز مواعيدى على بن أبى طالب » .

« وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أوحى إلى فى على ثلاث ، أنه سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين » .

وإذا أحاط عمر « رض » علماً بكل ذلك فلا غرابة أن رأيناه يبوح بالحق ، ويصرح بتلك الحقيقة الراهنة التى سعى فى إخفائها كثير ممن شهد مشهده ، وسمع ماسمع ، وبالجملة فتصريحات عمر « رض » فى أحقية على عليه السلام وأولويته بالأمر كثيرة جداً لا يسعنا أن نلم بها جميعاً .

وقد وضع سيدنا العم الأعظم أكبر علماء الشيعة اليوم ، الإمام آية الله

---

١ - محاضرات الراغب الأصفهانى ٢ - ٢١٣ ط مصر .

السيد حسن الصدر الكاظمي[1] رسالة في هذا الموضوع وسمها : « إقرارات عمـــر » .

أثبت فيها من طرق الخصوم كل ما صرح عمر « رض » بأحقية علي عليه السلام بهذا الأمر .

أجل إن هذه المسألة من البديهات الأولية للمنصف الذي تحلل من قيود العاطفة ومشى وراء الحقائق : واست أدري - وأيم الله - كيف يتسنى لهم إنكار النص وهو واضح جلي ، ولئن عذرناهم على حملهم المولى على الناصر مع ما عرفت من عـــدم جوازه ، فلا نعذرهم إن تأولوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« إن خليلي ووزيري ، وخليفتي وخير من أترك بعدي ، يقضي ديني وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب » . حيث أنها نصوص صريحة غير قابلة للتأويل ، إذ ليست ثمة عبارة تعين أن الوصي علياً عليه السلام أكثر من أن يعبر عنه أنه وزيره وخليفته وأنه خير من ترك بعده وأنه إمام المتقين ، وأنه ، وأنه إلى غير ذلك من الألفاظ التي تنادي بأحقية علي عليه السلام الخلافة دون غيره .

ومما يدلنا على خلافة علي عليه السلام بعثه بسورة « براءة » ، وعزل أبي بكر « رض » عن قراءتها ، فإن الإمام أحمد يحدثنا في مسنده[2] :

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعث علياً عليه السلام قال :

---

١ - مؤلف الشيعة وفنون الاسلام طبع دار المعلم بالقاهرة بتقديم الدكتور سليمان دينا أستاذ الفلسفة بكلية اصول الدين بجامعة الأزهر ومدير المركز الاسلامي بـ « نيويورك » .

٢ - مسند أحمد ١ - ١٥١ .

« لابد أن أذهب بها أنا أو تذهب بها أنت ، فانطلق فإن الله يثبت لسانك ، ويهدى قلبك » .

ويحدثنا[1] أيضا : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا أبا بكر فبعثه ليقرأها على مكة ، ثم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا فقال له : « أدرك أبا بكر فخذ الكتاب منه فاقرأه على أهل مكة » :

فأخذ الكتاب منه ورجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : نزل فى شيء ؟ فقال لا ولكن جبرئيل جاء فقال :

لا يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك اه .

وأنت ترى إن حصر التأدية فيه وفى على عليه السلام دليل قوى على أحقيته بالخلافة ، وبرهان كاف لبيان منزلته السامية .

ومن الغريب جدا أنا نرى كثيراً من القدماء والمتأخرين ينكرون وجود النص على إمامة على عليه السلام زاعمين إنه لو كان ثمة نص يدل على خلافته لاحتج به أمام الصحابة عندما ولى أبو بكر (رض) الخلافة ، وهذا من الغرابة بمكان فإن النص موجود كما عرفت مما تقدم ، وكون هذه الأحاديث التى ذكرها الإمام أحمد وغيره نصوصاً بحق على عليه السلام لا تتوقف على أن يحتج بها فعدم احتياجه بها ليس بدليل على عدم نصها عليه بالخلافة ما دامت هى ظاهرة يفهم منها النص كل من كان عربياً .

على أن كتب الشيعة مشحونة باحتجاجه على هذا الأمر وليس عدم

---

١ - مسند أحمد ١ - ١٥٢ وفى ١ - ٢ المصدر نفسه

وجود هذه الاحتجاجات فى كتب أهل السنة دليلا على عدم حصول الاحتجاج منه ما دمنا نعلم بعدم ميلهم لهذا الأمر ، وما دمنا نعتقد أنهم يعتبرون هذه النصوص مضرة بالنسبة إلى خلافة من تقدمه ممن ولى الخلافة.

هذا ولو رجعنا إلى العصر الغابر ، وتأملنا ملياً بما وصل الينا مما منى به أمير المؤمنين على عليه السلام من الضغط عليه والخنق لحريته لما وجدنا من المستطاع لديه — والحالة هذه — أن يقف موقف المناظر والمحتج عليهم، لاسيما ولم يكن حاضراً يوم السقيفة لاشتغاله بتجهيز رسول صلى الله عليه وآله وسلم

إن العلامة ابا الفداء يحدثنا فى تاريخه فيقول : (١)

إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى على ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة وقال : إن أبوا عليك فقاتلهم ، فأقبل عمر بشىء من نار على أن يضرم الدار فلقيته فاطمة وقالت : إلى أين يا ابن الخطاب ، أجئت لتحرق دارنا قال نعم او تدخلوا فيما دخل فيه الأمة (٢) ، وهذه نبذة صغيرة تصور لك الحالة يومذاك جيداً ، وتجعلك تعتقد أن عدم احتجاجه لم يكن لقصور الأدلة على خلافته ، وإنما كان لحراجة الموقف ، فصبر وفى العين قذى وفى الحلق شجى يرى تراثه نهباً كما يحدثنا به عن نفسه عليه السلام فى خطبته المعروفة « بالشقشقية » .

وما إضرابه عن بيعة أبى بكر (رض) ستة أشهر إلا احتجاجا على ضياع حقه المنتزع .

---

١ — تاريخ أبى الفداء ١ - ١٦٥ ، شرح النهج لابن أبى الحديد ١ - ١٣٤

٢ — وقد نظم الشاعر المصرى حافظ إبراهيم أبياتاً فى إحراق دار الزهراء عليها السلام عند امتناع على عن البيعة لأبى بكر يوم السقيفة وتهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمر امتناعه وكان فيه فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم راجع ديوان حافظ ابراهيم ١ - ٧٥ مطبعة الأميرية ببولاق مصر عام ١٩٤٨ م تحت عنوان: « عمر وعلى »

أجل لئن شك الخصم فى وجود النص ، أو فى احتجاج على أمير المؤمنين عليه السلام فهو لا يشك بادعائه عليه السلام للخلافة ، وادعاء فاطمة ، والحسن والحسين أنها له .

وبهذا يتم اسناد الخلافة إليه عليه السلام ، إذ ليس من المتصور فى أهل بيت العصمة أن يتعاقدوا على الكذب ، ذلك إنه رجس وقد نفاه الله تعالى عنهم فى محكم كتابه العزيز حيث قال: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

فالواجب إذاً على المسلم أن يؤمن بخلافته مادام القرآن الشريف ينزهه عن الرجس ، وما دام النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى حقه [1] : « على مع القرآن ، والقرآن مع على ، لا يفترقان حتى يردا على الحوض » .

وليس شك فى أن من كان عديل القرآن لا يجوز فى حقه أن يدعى الخلافة لنفسه من غير أن يستند فى دعواه على النص وإلا افترق عن القرآن وقد عرفت من نص الحديث أنهما لا يفترقان حتى يردا على رسول الله الحوض .

ونحن لو صرفنا النظر عن تلك النصوص المتضافرة، وسلمنا بعدم وجود النص على خلافة على عليه السلام لوجدنا فى الأحاديث الشريفة الواردة فى حقه عليه السلام خاصة كفاية ، إن الخصم إن أنكر دلالتها على الخلافة فلا يسعه أن ينكر دلالتها على فضله ، وعلى أنه أحق بالخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من كل فرد من الصحابة حيث قد امتاز بخواص ومميزات لم يتصف بها سواه ، فهذا ابن عساكر يخرج لنا كما فى الصواعق [2]

---

١ — الصواعق المحرقة ٧٤ .

٢ — الصواعق المحرقة ص ٧٦ :

« أنه ما أنزل فى أحد من كتاب الله ما نزل فى على .

واخرج عنه أيضاً : أنه نزل فى على ثلاثمائة آية

وأخرج الطبرانى عنه قال: كانت لعلى ثمانية عشر منفعه (منقبة) ما كانت لأحد من هذه الأمة » .

وأخرج الامام أحمد (١) . عن ابن عمر أنه قال :

« ولقد أوتى ابن أبى طالب ثلاث خصال لئن يكون لى واحدة منهن احب إلى من حمر النعم ، زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وولدت له ، وسد الأبواب إلا بابه فى المسجد (٢) ، وأعطاه الراية يوم خيبر» وأخرج ابن حجر فى صواعقه (٣) : أنه قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام :

إنك تقاتل فى تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » .

وأخرج لنـــا الامام أحمد (٤) عنه عليه السلام أنه قال النبى : صلى الله عليه وآله وسلم له عليه السلام : « فيك مثل من عيسى أبغضه اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبه النصارى حتى انزلوه بالمنزلة التى ليس به » ، ثم قال عليه السلام :

يهلك فى رجلان محب مفرط يقرضنى بما ليس فى ، ومبغض يحمله شنآنى على أن يبتهنى » .

وأخرج لنا (٥) : أيضاً أنه قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم له

---

١ ـــ المسند : ٢ - ٢٦

٢ ـــ الصواعق المحرقة ص ٧٤ :

٣ ـــ حديث سد الأبواب إلا باب على أخرجه السمهودى الشافعى فى تاريخ المدينة المنورة « وفاء الوفا باخبار دار المصطفى » فراجعه ـ الناشر ـ

٤ ـــ مسند الامام أحمد ١ - ١٦٠

٥ ـــ مسند أحمد ١ - ١٤٦

عليه السلام : « إنى أحب لك ما أحب لنفسى ، وأكره لك ما اكره لنفسى »

وأخرج [١] أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له عليه السلام: « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار ، فتشرف لها أصحابه فأعطاها لعلى عليه السلام .

وأخرج لنا أيضاً [٢] :

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام : « وأما أنت ياعلى فنى ، وأنا منك » .

وروى ابن حجر [٣] أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم « أقضى أمتى على ابن أبى طالب »

وقال صلى الله عليه و آله وسلم « أنا مدينة العلم وعلى بابها »

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أنا وعلى من شجرة واحدة ، وقال على عليه السلام آخيت بين الناس يا رسول الله فمن أخى قال :

أنت أخى فى الدنيا والآخرة [٤]

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : عنوان صحيفة المؤمن حب على ابن أبى طالب (وقال أبو بكر (رض) لعلى عليه السلام : [٥]

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يجوز أحد الصراط إلا من كتبت له على الجواز وقال صلى الله عليه و آله وسلم [٦]

---

١ — مسند الإمام أحمد ١ - ٩٩
٢ — المصدر نفسه ١ - ٩٨
٣ — الصواعق المحرقة ص ٤٧
٤ — المصدر نفسه ص ٧٣
٥ — المصدر نفسه ص ٧٥
٦ — المصدر نفسه ص ٨٤

« من آذى علياً فقد آذاني » .

وفي الصواعق أيضاً . أن النبي صلى الله وآله وسلم قال : « من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله » .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا (من سب علياً فقد سبني)[1] .

إنك ترى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوجب على المسلمين محبة علي عليه السلام وحرم عليهم بغضه حيث قد رتب محبته على محبة الرسول ومحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على محبة الله وهكذا البغض .

وليس ثمة شخص بهذه المثابة يستحق هذا الإعظام والتقدير إلا إذا كان إماماً مفترض الطاعة ، وإلا فمن المعلوم لدى كل فرد أن ليس من الواجب محبة أي شخص من الصحابة رضوان الله عليهم .

وأما حديث من « سب علياً فقد سبني . الخ » فهو يعطينا أصدق الصور على عظمة علي عليه السلام إذ أنه عليه السلام مختص بهذا الحكم دون غيره، فإن مسلما يحدثنا[2] . أن الصحابة تضاربوا بالنعال ، وتشاتموا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يحك لنا أن كفرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على فعلهم هذا .

وبالجملة إن الأحاديث الواردة في فضل عليٍّ عليه السلام كثيرة جدا لا يسعنا الإحاطة بالبعض منها ، وكلها آيات بينات تدل على فضله وتقدمه

---

١ ـ انظر رسائل الجاحظ تحقيق الأستاذ حسن السندوبي يقول فيه : إن معاوية في الشام أعلن سب الإمام على ألف شهر على المنابر ... الخ .

٢ ـ صحيح مسلم ٢ ـ ٧٦ وانظر: « وقعة صفين » تحقيق عبد السلام محمد هارون، قوله: صلى الله عليه وآله وسلم « يموت معاوية على غير سنتي » وقوله صلى الله عليه وسلم: « إذا رأيتم معاوية على منبري فالعنوه » الخ . ـ الناشر ـ

على سائر الصحابة ، وقد كانوا رضوان الله عليهم يقرون بهذا السبق فقد قال ابن مسعود كما فى الصواعق[1] :

« أقضى أهل المدينة على » :

وكان عمر (رض) يقول : على أقضانا .

ويقول : (رض) « لا أبقانى الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن على » .

وخلاصة القول : أن عليا عليه السلام كان الركن الحصين للصحابة يرجعون إليه فى أمور دينهم ، ويقدمونه فى مهماتهم ، لأنهم يرونه قد جمع الخصال الحميدة التى تفرقت فى غيره وأضاف إليها صفات نادرة اختصه الله بها وميزه عمن عداه .

كل خـــير يزينهم فهو فيـه وكل من زامه بالفخر مفخور

خلافة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام

من السهل جدا إثبات خلافة الائمة الاحد عشر من ولد على عليه السلام فقد وردت صحاح متضافرة من طرق العترة الطاهرة تنص على إمامتهم ، وتصرح باسمائهم ، على أن بين أيدينا روايات كثيرة من طرق أهل السنة تصرح بأن الأئمة اثنى عشر وأنهم من قريش كما يحدثنا بذلك مسلم[2] فى صحيحه قال :

« حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا عاصم بن محمد بن يزيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال هذا الأمر فى قريش مابقى من الناس اثنان » وقال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن حصين عن جابر بن سمرة قال :

---

١ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٦ :

٢ ـ صحيح مسلم ٢ ـ ١٠٧ .

سمعت النبي صلى الله عليه و آله وسلم يقول : حدثنا رفاعة بن الهيثم الواسطي واللفظ له ثنا خالد يعني ابن عبد الله الطحان عن حصين عن جابر ابن سمرة قال : دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه و آله وسلم فسمعته يقول : إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة قال : [1] ثم تكلم بكلام خفي علي : فقلت لأبي ما قال قال : كلهم من قريش .

وقد روى بهذا المضمون عدة أحاديث فراجع .

وعن ابن مسعود بسند حسن[2] أنه سئل كم يملك هذه الأمة فقال : سألنا النبي ﷺ فقال : اثنى عشرة كعدة نقباء بني إسرائيل .

ومثل هذه الأحاديث كثير ، وأنت ترى أن كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريح في أن الذي يتولى أمور الناس إلى يوم القيامة اثنى عشر خليفة وكلهم من قريش .

وهذا لا ينطبق إلا على ما تعتقده الشيعة الإمامية من إمامة إثنى عشر من ولد علي وفاطمة عليهما السلام لأنهم من هاشم ، وهاشم لباب قريش .

إن الروايات المتقدمة التي صرحت بأن الخلافة في قريش عامة وقد وردت أحاديث خصصت هذا العموم ، وقيدت هذا الإطلاق فقد جاء كما في الصواعق [3] أن النبي صلى الله عليه و آله وسلم قال : « في كل خلف من

---

١ ـ أنظر تحقيق حديث الثنا عشر خليفة لأحد أعلام السنة ذكره القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ٢ ـ ٤٤٦ طبعة الاستانة مع تعيين أسماء الخلفاء الإثني عشر وقد أوردناه في كتابنا : « مع رجال الفكر في القاهرة » الطبعة الرابعة في القاهرة فراجعه ـ الناشر ـ

٢ ـ الصواعق المحرقة ص ١٢

٣ ـ نفس المصدر ص ٩٠

أمتى عدول من أهل بيتى ، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون .

فأنت تراه يصرح بأن الذين يقومون بهداية هذه الأمة ولم شعثها إنما هم من ذريته ، وأهـــل بيته لأنهم هم الذين أوجب الله تعالى محبتهم فى محكم كتابه العزيز .

وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الدنس .

وهم الذين عناهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون » .

وهذا عين ما تدعيه الشيعة من أن الذى يتولى هذا الأمر من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إنما هم أئمة تجب طاعتهم ويجب التمسك بحبلهم والاعتصام بعروتهم الوثقى ، ولا غرو إن آمنت الشيعة بهم واعتقدت بإمامتهم مادام القرآن الشريف يردد ذكرهم ، ومادامت السنة النبوية تأخذ بأيديهم ، وترفع من قدرهم فقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : كما فى الصواعق [1] .

إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أحدهما أعظم من من الآخر ، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وإن اللطيف أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفونى فيهما ، وقال ابن حجر أيضا :

وفى رواية صحيحة إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تتبعوهما وهما كتاب الله ، وأهل بيتى عترتى ، قال: وزاد الطبرانى :

---

١ الصواعق المحرقة ص ٨٩ .

إنى سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ،ولاتقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

وقد استفاد العلامة ابن حجر من حديث الثقلين[1] أن الكتاب والعترة باقيان إلى قيام الساعة وقد قال بعد أن ساق جملة أحاديث فى فضلهم .

« ثم الذى وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله ، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض ، ويؤيده الخبر السابق .

ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم — وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »

إلى أن قال (وفى أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك .

ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض ويشهد لذلك الخبر السابق — فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى — اهـ » .

وفى الحق أن فى جعل النبى صلى الله عليه و آله وسلم العترة مقترنة فى الكتاب العزيز إلى يوم القيامة ، وحكمه بالهلاك على من تخلف عنهم ، لدليل قوى على القول بأمانتهم .

ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه و آله وسلم « ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم » فإن قوله هذا صريح بأن علمهم غير مكتسب من أحد من المسلمين ،

---

١ ـ هـذا الحديث فيه دلالة قاطعة على عصمة أهل البيت راجع كتابنا « مع رجال الفكر فى القاهرة » الطبعة الرابعة قسم التعليقات تحت عنوان : حديث الثقلين وعصمة أهل البيت .

« الناشر »

وإنما هو علم آلهى ألهمهم الله إياه وما ذلك إ. من ظاهرات الاستخلاف.

ومما يستدعى الغرابة والدهشة إنك مع ما عرفت من عظيم منزلتهم عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ترى ابن حزم فى كتابه يقول[1]

« كل ما روى فى الفقة عن الحسن والحسين لم يبلغ عشر أوراق ، فما ترى المصلحة التى يدعونها فى إمامتهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل ولا عندهم ولا عند غيرهم ، ولا ظهر من بعد الحسين من هؤلاء الذين سموا أحداً ، ولا أمر أحد منهم قط بمعروف معلن » .

ويقول بعد ذلك: [2] كذلك لايجدون لجعفر بن محمد بسوقا فى علم إلى آخر ماقال .

إننا لا ننكر على ابن حزم قلة أحاديث الحسنين عليهما السلام وغيرهما من آل محمد فى كتب أهل السنة . وليس ذلك ذنب آل محمد عليهم السلام .

وإنما هو ذنب الرواة الذين جعلوا أهل البيت وراثهم ظهرياً .

واعتمدوا فى كثير من رواياتهم على المضعفين والمرجئة والخوارج.

وأما قلة رواياتهم فى كتب الشيعة أيضاً فذلك مما لا يوافقه عليه أحد إذ أن الشيعة لم تعول فى أصول الدين وفروعه إلا على أهل البيت عليهم السلام ، ورواياتهم عنهم لا تعد بالمئات وإنما تعد بالألوف .

وقد روى عن أحدهم — وهو الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام — أربعمائة رجل من أفاضل الشيعة .

وقد ألفوا من مجموع ما سمعوا عنه عليه السلام أربعمائة مصنف تعرف عند الشيعة « بالأصول الأربعمائة » .

---

١ — الملل والنحل ٤ - ١٠٢ .

٢ — نفس المصدر ٤ - ١٠٦ .

وقد لخصت وجمعت فى كتب أربع اشتملت على ٤٠٢٤٤ حديثا كما ستعرف ذلك تفصيلا فى بعض الفصول الآتية .

فهل يسوغ — والحالة هذه — أن يقال أن الله تعالى لم ينفع بأمامتهم قط فى علم ولا عمل ؟؟

وهل يصح أن يقال أيضاً أن الشيعة لا تجد بسوقا فى علم فى الأمام الصادق عليه السلام ؟؟١ .

والذى يهون الخطب أن ابن حزم لم يكن ثقة ، ولا ممن يعتد به ويؤخذ بنظرياته ، وقد حدثناعنه ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة فقال[1] : «وتعرض لكثير من ائمة المسلمين فنقم الناس ذلك عليه وأوسعوا مذاهبه استهجانا وانكارا ، وتلقوا كتبه بالاغفال والترك حتى أنها ليحضر بيعها بالاسواق ، وربما تمزق فى بعض الأحيان » .

هذا ما نقله ابن خلدون فى شأنه ، وهو كاف لتصوير مكانته فى قلوب الناس ، ومن كانت هذه منزلته فى الهيئة الاجتماعية لجدير أن يعتنى به .

وحرى أن يضرب كلامه عرض الجدار ولم نتعرض له إلا ليطلع القارىء الكريم على مبلغ بعصبه الذميم فلا يغتر بأقواله التى بهت بها الشيعة .

---

١ — مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٩ .

- ٥ -

مجمل عقائد الشيعة

ان للشيعة مميزات كثيرة عرجت بها نحو العلاء ، واحلتها مكاناً علياً فى نفوس المنصفين من الباحثين .

ولست الآن فى صدد تعداد هاتيك الظواهر التى تحلت بها هذه الطائفة وميزتها عمن عداها من الطوائف الإسلامية الأخرى ، فإن التعرض لذلك يحتاج إلى متسع من الوقت ، ويضطرنا إلى تحبير فصول مطولة

والذى نود بيانه الآن — هو عقائدها — فإنها هى التى تلتئم وموضوع كتابنا هذا وهى الهدف الذى نرمى اليه فى عقد هذا الفصل .

والحق إن عقائدها لمن أوليات الخصائص التى قد انفردت بها هذه الطائفة الحقة ، فإنك تراها عقائد إسلامية محضة ، لا يدخلها شك ، ولا يطرأ عليها ضعف يقين .

كما إنك لن تجد لأى ديانة عليها من سبيل فهى إن تأثرت ، فلن تتأثر بسوى تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

ولئن استقت فلن تستقى من غير نبع القرآن الكريم ، ومن سوى السنة المقدسة ، وأحاديث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام .

فهى إذاً تأخذ معتقداتها من أصح الأسانيد ، وأوثق المصادر .

---

١ — لسماحة العلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر كتاب «عقائد الإمامية» قدم له الدكتور حامد حفنى داود رئيس قسم الأدب العربى بجامعة عين شمس بمصر . طبع أكثر من مرة فى القاهرة وأعيد طبعه بالأوفست وهو من مطبوعات النجاح بالقاهرة . « الناشر »

ومن الغريب جداً انا نرى كثير من الباحثين فى العصر الحاضر يخبطون — عند ذكرهم الشيعة خبط عشواء فى ليلة ظلماء كأن الشيعة من الأمم التى ذهب رسمها ولم يبق منها سوى الأسم .

فهذا أحمد أمين يرى أن التشيع مزيج من يهودية ،ونصرانية، وزرادشتية كما عرفت من عبارته التى نقلناها فى مقدمة الكتاب ، وقال فى كتابه [١] .

وقد ذهب الأستاذ ولهوسن إلى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية مستدلا بأن مؤسسها عبد الله بن سبا وهو يهودى، ويميل الأستاذ دوزى إلى أن أساسها فارسى . . . إلخ .

إنا لا نوجه اللوم على الأستاذين ولهوسن ، ودوزى بذهابهما إلى أن التشيع منبعه اليهودية ، أو الفارسية لعدم اطلاعهما على التاريخ الإسلامى والطوائف الإسلامية إطلاعا تاماً يخولهما الحكم ، وما هاتان النظريتان إلا دليل على ذلك .

والذى يستدعى الدهشة أنك ترى أحمد أمين يجيب عن النظرية الثانية — وهى منبع العقيدة الشيعية من الفرس .

ولا يتعرض للأولى كأنه قد أقرها .

وأعترف أن المؤسس لها هو عبد الله بن سبا .

وهذا من الخبط والخلط فى التاريخ فإن أحمد أمين نفسه قد أعترف أن بعض الباحثين يذهب إلى أن عبد الله ليس له وجود تاريخى[٢] فكيف إذاً يكون مؤسساً لفكرة التشيع ؟؟ .

---

١ ـ فجر الإسلام ص ١٣١ الطبعة الأولى .

٢ ـ قال الدكتور طه حسين فى كتابه : « الفتنة الكبرى » ٢ ـ ٩٨ طبعة دار المعارف بمصر عام ١٩٥٣ م .

وأقل مايدل عليه أعراض المؤرخين عن السبئية وابن السوداء فى حرب صفين : إن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء إنما كان متكلفا منحولا . . وإنما هو شخص ادخره خصوم الشيعة الشيعة وحدهم . . . إلخ

ـ الناشر ـ

وعلى فرض أن يكون له وجود محقق لا يسعنا أن نقول:
أن الشيعة تأثرت بآرائه ونظرياته ما دمنا نعلم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان ساخطاً عليه وعلى أتباعه حتى حرقهم بالنار كما عرفت ذلك فيما تقدم.

إن أحمد أمين يرى كما عرفت من مذهبه إن التعاليم الشيعية مزيجة من يهودية، ونصرانية، وزرادشتية، وإنه ظهر في التشيع التجسيم والحلول و. وو. إلى غير ذلك من أقوال هي منها براء.

وهذه الأحكام وأن كانت جائرة وقارصة في وقت واحد غير إنا لا نؤاخذه من هذه الوجهة ما دامت الأقلام حرة.

وما دامت الأفكار قد تحللت من قيود التقليد الذميم فلأحمد أمين أن يحدثنا بما شاء، وله أن يصحر بكل ما يكنه ضميره من آراء ونظريات مصيبة كانت أو مخطئة، كما أن لنا أن لا نستسلم لحكمه، ولنا أن نضع آراءه في بوتقة النقد، ونفحصها فحصاً مدققاً.

نعم لنا وله ذلك فإن الحقيقة بنت البحث ولا يتسنى الظفر بالحقيقة الناصعة ما لم يتصف الباحث بالصراحة والجرأة الأدبية.

وأن الشيعة - قبل كل أحد - ترحب بهذه الفكرة وتكبر القائمين بها أيما إكبار، فإنها هي أول من أسس الحرية في البحث.

فقد اقتحمت باب التكلم في شأن الصحابة فجرحت البعض منهم [1]،

---

١ - أنظر ما كتبه الدكتور حامد حفني داود عن كتاب «الصحابة في نظر الإمامية» للكاتب الاسلامي الكبير أسد حيدر صاحب الكتاب الخالد «الامام الصادق والمذاهب الأربعة» وتجد هذا التقديم في كتابنا «مع رجال الفكر في القاهرة» في طبعته الرابعة بمصر عام ١٩٧٨ م

- الناشر -

وقالت : بعدالة آخرين مما لم يجرأ إخواننا أهل السنة على فتح هذه الباب أو طرقه ، فنحن إذاً نشكر أحمد أمين على جرأته الأدبية ولكن نقول : إن نظرياته لم تبن على أساس متين كما أنها لم تأخذ من مصدر وثيق فإن كتب اسلافه ، كالملل والنحل ، للشهرستاني وغيره من الكتب المؤلفة لبيان الملل والنحل ، الإسلامية خالية من ذكره هذه النسب التي الصقها أحمد أمين في الشيعة ، وإن الشهرستاني عندما نسب بعض الأقوال المنكرة إلى الشيعة قيدها بالغالية ، وقد قلنا ونقول ، ونكرر ذلك مراراً .

إن هاتيك الفرق التي تذهب إلى التشبيه والحلول وما إلى ذلك ليست من الشيعة وليست الشيعة منها في شيء .

ولو اغمضنا النظر عن كل شيء وسلمنا — والعياذ بالله — أن تلك الطوائف من الشيعة ولكن هل يجوز لأحمد أمين وأمثاله أن يقول: «وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول» ، مع انه لم تقل به الشيعة عامة وإنما قالت بذلك بعض الفرق الضالة .

إن من الغريب جداً إنك ترى مثقفاً كأحمد أمين يصدر أحكامه على الشيعة من غير أن يعتمد في حكمه على كتبها الخاصة .

وقد اقتفى أحمد أمين سبيل من تقدمه في اتخاذ هذه الخطة ، ولكن قد تفوق عليهم بأمر واحد وهو عدم اعتماده في نظرياته على كتب الفريقين أو على أي مستند تاريخي .

ولعل الفلسفة الحديثة هي التي جعلت أحمد أمين وأمثاله يبرعون ويتقدمون هذا التقدم فبورك لهم بهذا الفوز الباهر ، وبورك لهم في عصر النور .

وأراني الآن جد محتاج إلى إيراد بعض عقائد الشيعة ليطلع عليها القارىء

الكريم ، وليعرف قيمة بحوث أحمد أمين [1] وغيره ممن أراد تشويه سمعة الشيعة ، ولا أستطيع إلا أن آتى لا بمجمل ما ذكروه من عقائدها لأن تفصيل ذلك يحتاج إلى مجلد ضخم .

ونحن نحيل المطالع الكريم على الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع فإنها تقوم بهذه المهمة .

عقائدها فى الله تعالى

تذهب الشيعة إلى أن الله ليس بجسم ، ولا جوهر ، ولا عرض ولا متحيز ، ولا حاصل فى مكان ، ولا حال فى غيره لأن الحال مفتقر بالضرورة إلى المحل ، ولا من شك أن المفتقر بوجه عام ممكن وواجب الوجود ليس بممكن كما هو مقرر فى علم الكلام فلا يكون إذاً حالا .

ولا يسوغ أن يكون تعالى متحداً فى غيره إذ ليس متصوراعتبار الشيئين شيئاً واحداً من غير ممازجة ، ولا نقصان أو زيادة .

وتنزه الشيعة الله تعالى عن الرؤية وتستدل على ذلك بأنه لو كان مرئياً لكان فى جهة إذ كل مرأى لابد وأن يكون مقابلا للرائى أو حكمه كالمرأى فى المرآة .

ومن المعلوم لدى كل فرد أن الله تعالى ليس فى جهة فلا يكون مرئياً .

قدم كلام الله وحدوثه

هذه المسألة معركة الآراء قديماً وحديثاً ، وقد اشتد النزاع والخصام فيها بين الشيعة والمعتزلة ، وبين الأشاعرة .

---

١ ـ راجع تصدير الدكتور حامد حفنى داود لكتاب : « تحت راية الحق » فى طبعته الرابعة طبع فى القاهرة بمطبعة دار التوفيقية للطباعة بالازهر الشريف عام ١٩٧٨م ـ الناشر ـ

فذهبت الأوليات إلى حدوثه حيث أنهم لا يعتبرون الكلام إلا حروفاً واصواتاً وهي حادثه بالبداهة فلا يكون كلام الله قديماً .

وذهبت الأخيرة إلى قدم كلامه وأنه ليس بأمر ولا نهى ، ولا خبر ولا استخبار .

ولا يخفى ما يستلزم ذلك من المحال .

وقد ذكرت الشيعة وجوها للمحال نضعها بين يديك دحضاً لنظرية الأشاعرة .

١ — إن الأمر والنهى ، والخبر والاستخبار وغيرهما من أساليب الكلام ماهيات مختلفة فيمتنع الحكم بوحدة الأمور المتخالفة .

٢ — إنه يلزم الكذب فى قوله تعالى إنا أرسلنا نوحا ، أنا نحن نزلنا الذكر ، لأنه إخبار عن الماضى ولم يقع الأرسال وغيره فى الأزل والكذب محال على الله عز شأنه .

٣ — يلزم نسبة السفه والحق اليه ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً لأن خطاب غير المعلوم سفه وجهل لذلك ترى لو جلس الواحد منا منفرداً فى منزله ونادى بأسماء أشخاص لا وجود لهم عده العقلاء مختل الشعور .

ومن المحقق أن العالم معدوم فى الأزل ، وإذا كان ذلك مسلماً فهل يسوغ له عز من قائل — وهو الحكيم العليم — أن يقول :

« يا أيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ، يا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » ؟ .

وإذا فَعَلَ ذلك ألا يكون هذا منه خلافاً للحكمة التى عرف بها البارى عز اسمه ؟ ؟ .

٤ — مخالفة ماتذهب إليه الأشاعرة لنص القرآن العزيز فإن الله تعالى يقول :

(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ وقوله : « بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) واللوح محدث ،

٥ — أن القرآن الذى تدعى الأشاعرة قدمه لا يخلو إما أن يكون عبارة عن المعنى المعقول عند كل أحد أو غيره فإن كان الأول كان محدثا لأنه مركب ، وكل مركب محدث .

وإن كان الثانى كان راجعاً إلى إثبات وصف الله تعالى بغير معلوم وهو محال.

أصول الدين

أصول الدين عند الشيعة خمسة التوحيد ، والعدل والنبوة والإمامة ، والمعاد يوم القيامة ، وليس ثمة فرق فى أصول الدين بين الشيعة وأهل السنه إلا فى الأصل الثانى فقد اسقطوا هذا الأصل من عداد أصول الدين لتجويزهم على الله الظلم .

والذى يفرضه العقل ويحتمه البحث هو ما تذهب اليه الشيعة من القول بالحسن والقبح العقليين ، لأن فعل القبيح كما عرفوه هو الذى يستحق فاعله الذم ، وتاركه المدح ، والحسن على العكس من ذلك .

ولاشك أنه لايتصور صدور القبيح منه عز وجل وذلك :

أن القبيح لا يرتكبه أحد من الناس ما لم يكن جاهلا بقبحه ، أو عالما به ولكنه محتاج إليه وكلاهما مما يجب تنزيه البارى عنهما لاستلزامهما النقص لأن الجاهل مقابل العلم الذى هو الصفة الكاملة ، والحاجة مقابلة للاستغناء الذى هو الصفة الكاملة أيضاً .

ومن البديهى أن ليس ثمة مقابل للكمال سوى النقص فلو صدر — والحالة هذه — عنه القبيح لا تصف بالنقصان هو لا يليق بمقامه عز وجل

عصمة الأنبياء

ان الشيعة تعتقد بعصمة الأنبياء بوجه عام فى الأحكام وغيرها ولا تجوز فى حقهم ارتكاب الخطيئة صغيره كانت أم كبيرة. وهذا من الضروريات الأولية إذ لو جاز الخطاء عليهم لكان جائزاً بوجه عام من غير تقييده بنوع دون نوع .

ومن جملة الأخطاء الكذب فلو لم يكن النبي معصوماً من الزلل لجوز المكلفون عليه تعمد الكذب وإذا تمركزت هذه العقيدة فى أدمغتهم قلت الثقة به من نفوسهم ، ولم يمكنهم بعد امتثال أمره ونهيه ، ولازم هذا انتفاء فائدة البعثة وانتفاء فائدة تبليغ الاحكام للمكلفين ، فالعصمة إذاً واجبة يحتمها الشرع ويقرها العقل .

عصمة الأئمة عليهم السلام

قد يعد الكثيرون أن القول بعصمة الائمة عليهم السلام من الغلو فى المذهب ، ولكنهم لو تدبروا قليلا لتفشعت عن أعينهم الغياهب، وتكشفت لديهم الحقائق واضحة جلية ، وذلك :

أن العلة التى اقتضت عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم هى التى تقتضى عصمة الأئمة عليهم السلام فإن الإمامة درجة ثانية عن النبوة ، فكل ما كان يترتب على النبوة من الفوائد الجليلة يترتب على الإمامة .

ونحن لو رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدناه يصرح بعصمة الأئمة حيث يقول : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فإن من الرجس الكذب وهو منفى بنص الآية الشريفه وإذا لا يجوز عليهم الكذب ثبتت لهم العصمة التى يدعيها لهم الشيعة [1]

---

١ - العدالة هى ملكة تمنع الشخص عن الاتيان بالمعاصى فالخطأ منه بعيد =

نعم : يبقى شيء واحد وهو هل أن العصمة واجبة عليهم كالأنبياء أم لا ؟؟ والذى يقتضيه التحقيق هو وجوبها ذلك أن العلة فى احتياج الناس إلى الإمام هى جواز الخطأ عليه .

وإذا كان الخطأ على الإمام جائز أيضاً لاحتاج إلى إمام غيره كما احتاجت الأمة إلى إمام لمشاركته لهم فى علة الإحتياج ، ويحتاج الثانى إلى الثالث وهكذا ولازم ذلك التسلسل الذى هو معلوم البطلان وإذا لزم من جراء ذلك المحال وجب عليه تعالى أن يعصمهم من الزلل كما فعل ذلك فى الأنبياء .

وجود المهدى عليه السلام

لقد عرفت أن الأمة فى حاجة ماسة إلى إمام معصوم يرشدهم إلى حلال الله وحرامه ، ويهديهم سواء السبيل ، ولا شك أن هذه الحاجة ليست خاصة بوقت دون وقت ، أو عصر دون عصر ، فالضرورة إذا تلجئنا أن نؤمن بوجود الإمام المهدى عليه السلام ، إذا ليس ثمة أمام يدعى وجود سواه. وهذه حقيقة واضحة ، ولا يضر الشيعة استبعاد الخصوم طول عمره هذه المدة مادامو ا يعترفون بحياة الخضر عليه السلام والدجال لعنه الله وهما أطول منه عمرا ، ومادام القرآن الكريم يذكر لنا أن نوحاً لبث بين قومه يبث الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً .

وقد روى الخصوم صحاحاً متضافرة تصرح بما نقول فهذا الامام أحمد يحدثنا فى مسنده[1] فيقول :

= والمعصوم لايخطر باله بمعصية والعصمة : ملكة مانعة للشخص عن كل ما يغضب الله عز وجل ويسخطه فلا يخطأ قولا ولا عملا قط . ـ الناشر ـ

١ ـ مسند الامام أحمد ١/٩٩

عن علي عليه السلام أنه قال رسول الله ﷺ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً » .

وروى أيضاً عن علي عليه السلام[٢] عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : المهدى منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة » .

ولو أردت أن أسوق لك كل ما في كتب الخصوم لطال المقام .

وليس غرضنا الآن الاستدلال على صحة مذهب الشيعة في هذه المسألة فإن تفصيل ذلك يحتاج إلى متسع من الوقت .

وإنما أردنا أن نشير - في هذه المسألة وغيرها - إلى معتقدها مع استدلال بسيط يحتمه علينا البحث .

وأسأله تعالى أن يوفقني لوضع رسالة أو في البحث حقه في الاستدلال على إمامة المهدى عليه السلام ، وأسأله أن يكون عن قريب .

---

١ - المصدر نفسه ١ - ٨٤

مصادر الشيعة الإمامية[1]

لقد كان أهل البيت عليهم السلام في مختلف العصور، وسائر أدوار حياتهم الثمينة أئمة حق يعتصم بحبلهم، ويتمسك بهم، ويستضاء بأنوارهم الوضاءة غير أنه لم يكن من المستطاع لديهم أن يظهروا للناس بصراحة علومهم وأسرارهم خشية من أعدائهم الألداء الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر، والذين كانوا يسعون قصارى جهدهم في إطفاء نورهم، وإخماد ذكرهم.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويعم ظهوره.

وقد كان الضغط عليهم يختلف شدة وضعفا حسب اختلاف قوة السلطة وضعفها يومذاك، وما أن تخلل الضعف الدولة الأموية حتى بزغت أنوار آل محمد (عليهم السلام)، وعمت فضائلهم الأصقاع وطبقت كافة الأرجاء، فطفقوا عليهم السلام حينئذ يبثون في الناس تعاليمهم القيمة.

وأخذوا يزودون العالم الإسلامي بالعظات البليغة، والوصايا المؤثرة.

وقد كان ظهور هذا الفتح على يد «صادق» أهل البيت جعفر بن محمد عليهما السلام فإنه كان عليه السلام في عصره كعبة القاصد، ونجعة الرائد.

يهرع المسلمون للنزول بين يديه من كل حدب وصوب لتحمل العلم عنه والارتشاف من منهله العذب والأخذ من نميره الصافي.

---

١ ـ أصدر العلامة المحقق السيد محمد حسين الجلالي كتابه: مصادر الحديث عند الإمامية وطبع في مطبعة حسان بالقاهرة عام ١٣٩٦ هـ من مطبوعات النجاح بالقاهرة واعيد طبعة بالاوفيست فلا تفوتك مراجعته ـ الناشر ـ

وقد بلغ عدد الذين رووا عنه عليه السلام من العلماء أربعة آلاف وكل منهم يقول : قال جعفر بن محمد ، وقد قام أربعمائة من الشيعة الذين تلمذوا عليه فألفوا من الأحاديث التي أخذها عنه أربعمائة مصنف تعرف عند الشيعة « بالأصول الأربعمائة » .

وكانت الشيعة تأخذ عنها في ذلك الحين ، وتعدها مصادر وثيقة .

وقد انتدب ثلاثة من أكابر علماء الأمامية إلى تهذيبها وتلخيصها في كتب أربعة هي : المصدر الوحيد للشيعة قديما وحديثاً وهي :

١ ـ الكافي

هذا أول الكتب الاربعة تأليفاً ، ومؤلفه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب ابن اسحق الكليني أكبر علماء الإمامية في عصره.

وقد اختلف في نسبة الكليني فقيل : إن الكليني نسبة إلى كاين ، كأمير وقد قال عنها صاحب القاموس كاين كأمير قرية بالري منها : محمد بن يعقوب الكاييني .

وقال بعضهم إن في الري قريتين ـ كاين ـ ، كأمير ، وكلين مصغراً وفيها قبر الشيخ يعقوب الكليني .

وإن صاحب القاموس اشتبه في نسبة الكليني إلى القرية الأولى لعدم اطلاعه على الثانية ، وإنه فرق بين القريتين فان كاين بالتكبير من قرى ورامين ، وبالتصغير من قرى فشابويه .

والكليني هذا أول « المحمدين الثلاث » أصحاب الكتب الأربعة ، وقد جمع كتابه في عشرين سنة جاب في خلالها سائر البلاد الإسلامية .

وهو يشتمل على ١٦١٩٩ حديثاً .

وقد سنحت الفرص لثقة الإسلام الكليني في جمع أحاديث كتابه ما لم

تسنح لغيره بمثل ذلك حيث كان فى زمن الغيبة الصغرى ، وبمحضر من نواب صاحب العصر المهدى عليه السلام .

ويحكى أن الكافى عرض على المهدى عليه السلام فقال عنه « كاف لشيعتنا » .

وقد كان رحمه الله ذا مكانه سامية فى نفوس المسلمين كافة الخاصة منهم والعامة ، وهو أول من لقب « بثقة الإسلام » لجلالة قدره ، وثقة الناس به .

ومما يعطينا صورة صادقة عما وصل إليه من الجلال والعظمة عده من المجددين للمذهب الجعفرى على رأس المائة الثالثة فهذا سيدنا آية الله العم الأعظم السيد حسن الصدر الكاظمى يحدثنا فى كتابه الجليل : « تكملة الأمل[1] » عن ابن الأثير أنه يقول فى كتابه : جامع الأصول ، عند ذكره من كان مجدداً لمذهب الإمامية ما نصه :

على رأس المائة الأولى محمد بن على الباقر عليه السلام .

وعلى رأس المائة الثانية على بن موسى الرضا عليه السلام .

وعلى رأس المائة الثالثة ابو جعفر محمد بن يعقوب الرازى .

وعلى رأس المائة الرابعة المرتضى الموسوى أخو الرضى الشاعر اهـ ،

والحق أنه كان رحمه الله الركن الحصين الذى كانت تلجأ اليه الشيعة فى الغيبة الصغرى ، فهو الذى كان يتفقد أمورهم ، ويدير شؤونهم دينية كانت أم دنيوية ، ولو لم يصمد الكلينى لجمع الأحاديث بكتابه الجليل « الكافى » لما بقى بين أيدينا اليوم من أخبار آل محمد عليهم السلام إلا النزر اليسير لأن أعاصير الخطوب قد ذهبت بمعظم الكتب الأربعمائة التى لخص منها : كتاب « الكافى » والكتب الثلاثة الأخر[2] .

---

١ - يقع فى أربع مجلدات وهو أحسن ما ألف فى هذا الموضوع وهذا الكتاب مع بقية آثار المؤلف تجدها فى مكتبة « حسينية آل الصدر » فى مدينة الكاظمية - العراق - الناشر -

٢ - وهى : التهذيب ، والاستبصار ، ومن لا يحضره الفقيه - الناشر -

وإنك لو رجعت إلى الكافي لوجدته يضم بين دفتيه من الأحاديث ما يقوم على الصحاح الست للجمهور .

وليس قيامه بهذا العمل الشاق إلا بعض خدماته ، وبعض أياديه البيضاء التي كان يسديها على هذه الطائفة .

هذه من علاه إحدى المعالي ✦ وعلى هذه فقس ما سواها

ويعتبر كتابه هذا عند الشيعة أوثق الكتب الأربعة لذكره تمام سلسلة السند بينه وبين المعصوم ، لم يوجد نظيره في الكتب الأخر .

وله من المؤلفات غير « الكافي » كتاب الرد على القرامطة ، وكتاب تعبير الرؤيا ، وكتاب رسائل الأئمة ، وكتاب ما قيل فيهم من الشعر .

وتوفي رضوان الله عليه في شهر شعبان سنه ٣٢٩ هـ في السنة التي توفي فيها أبو الحسن بن محمد السمري آخر السفراء الأربعة .

وقيل سنة ٣٢٨هـ وكانت وفاته في بغداد ، ودفن بباب الكوفة وهو المعروف اليوم بباب الجسر .

وقبره هناك مشهور حتى اليوم يزوره سائر أفراد الأمة الإسلامية .

٢ - من لا يحضره الفقيه

هذا المصدر الثاني للشيعة ومؤلفه: العلامة الجليل الشيخ : أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي وقد حوى كتابه كتابه هذا من الأحاديث ٣٩١٣ حديثاً مسنداً و ١٠٥٠ حديثاً مرسلا .

لقد بلغ شيخنا الصدوق في عصره منزلة سامية دونها كل منزلة وكان أول من لقب « بالصدوق » حتى صار له من الألقاب الخاصة ، يتبادر منه عند الاطلاق .

وقد اكتسب هذا اللقب لمزيد تثبته في الرواية وشدة حفظه وضبطه .

وقد كانت رواياته المثل الأعلى فى الاعتبار حتى قيل أن مراسيله فى الفقيه كمراسيل ابن أبى عمير فى الحجية والاعتبار .

وإن كل من ترجم حياة هذا العالم الجليل تراه يذكر أن تولده كان بسبب دعاء صاحب الزمان عليه السلام ، وإنه نعته بالفقيه الخير المبارك ، وبقوله ينفع الله به .

ولئن صح ذلك فهو الشاهد العـــدل على عظمته ، وجلالة قدره ، وإن انسانا ينص الإمام على توثيقه وفقاهته لحرى أن يتسنم أريكة الزعامة الدينية وأن يكون بين الناس صورة مقدسة .

وإن من ألم بترجمته إلماما تاما يكاد أن يقطع بصحة ما يقولون من سبب هذه الولادة ، فإنك تراهم يعدون له ثلاثمائة مصنفاً .

وتراهم يقولون : إنه قدم العراق وهو حدث السن فسمع منه شيوخ الطائفة كالشيخ أبى محمد هارون بن موسى التلعكبرى ، والشيخ المفيد ، وابن الغضائرى ، والنجاشى وابن حسكة القمى ، وأبى زكريا محمد بن مسلم الحرانى وأمثالهم .

وهذا كله يدلنا دلالة واضحة على أن لله فيه العناية التامة .

وقد حدثنا عن نفسه ـ وهو الصدوق ـ فقال : « عقدت المجلس ولى دون العشرين سنة ، وربما كان يحضر مجلسى محمد بن عـــلى الأسود فإذا نظر إلى اسراعى فى الاجوبة فى الحلال والحرام يكثر التعجب لصغر سنى ، ثم يقول: لا عجب لأنك ولدت بدعاء الإمام اهـ »

أجل لولا دعوة الإمام عليه السلام لكان من الممتنع عادة أن يصل إلى ما وصل إليه من التقدم العلمى وهو فى شرخ الشباب .

وأنت ترى أنهم كانوا يندهشون لأول وهلة من هذا التقدم الباهر ثم يثوبون لرشدهم إذا ما ذكروا سر هذا النبوغ ، وذكر سيدنا آية الله العم

الأعظم فى « تكملة الأمل » أنه توفى بالرى سنة ١٣٨١ هـ عن عمر يناهز السبعين تقريباً .

وأنه أدرك من الغيبة الصغرى نيفا وعشرين سنة .

٣ - التهذيب

هذا المصدر الثالث للشيعة ، وفيه من الأحاديث ما لا يقل عن كتاب الكافى وقد وصف هذا الكتاب الجليل بحر العلوم آية الله السيد مهدى — وناهيك به — فقال من جملة كلام له : « خصوصاً التهذيب فإنه كاف للفقيه فيما يبتغيه من روايات الأحكام عما سواه فى الغالب ، ولا يغنى عنه غيره » .

وهذه شهادة منه قيمة يقدرها من عرف منزلة السيد بحر العلوم العلمية .

٤ - الاستبصار

هـــذا هو المصدر الرابع للشيعة ، وهو والذى قبله من مؤلفات شيخ الطائفة ، وأكبر علماء عصره أبى جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى .

وقد حوى كتابه ٥٥١١ حديثاً .

وقد عـــد سيدنا بحر العلوم كبير علماء الإمامية من ظواهر هذين الكتابين ومميزاتهما استقصاء مؤلفهما كل ما يتعلق بالفروع من الأخبار .

وما أخذ مؤلفهما على عاتقه من الاستدلال والتنبيه على الأصول والرجال والتوفيق بين الأخبار والجمع بينها بشاهد الاعتبار والنقل .

ولد رحمه الله فى شهر رمضان المبارك سنة ٣٨٥ وقدم العراق فى سنة ٤٠٨ وكان عمره يومذاك ٢٣ سنة فتلمذ على الشيخ المفيد نحو خمس سنوات وكتب بعض التهذيب فى هذه المدة كما ذكر ذلك سيدنا فى « تكملة الأمل »

ولما توفى الشيخ المفيد سنة ٤١٣ [1] حضر حينئذ عالى مجلس علم الهدى السيد المرتضى ٢٨ سنة وما توفى السيد سنة ٤٣٦ حتى القت إليه الزعامة الدينية مقاليدها ، فاستقل بالرآسة العامة ٢٤ سنة كان فيها المفزع فى أمور الدنيا والدين .

وحيث كان المقدم فى عصره ترى الخليفة العباسى قد عهد إليه بكرسى الكلام الذى كان لايتسنم أريكته إلا من كان لديه ثروة علمية تربو على ثروة غيره من العلماء .

وقد سوغ له الخليفة العباسى أن يلقى على الناس محاضراته المختلفة فى الأصول والفروع وحتى فى « الإمامة » فإن الشيعة كانت لا تزال فى ذلك الحين فى وسعة من إبداء آرائها ونظرياتها بكل صراحة حيث أن التقية كانت أول ظهورها. وفى الدور الأول من أدوار الضغط وخنق الحرية .

وقد كان له من التلامذة الشيعيين ٣٠٠ عالم ومن العامة خلق كثير وقد لبث فى بغداد اثنا عشر سنة ليس لديه شغل سوى التدريس والتأليف حتى جاءت سنة ٤٤٨ - وهى السنة التى حرقت فيها داره وكتبه ووقعت الفتنة بين الشيعة والسنة .

هاجر إلى النجف الأشرف ومكث فيها اثنا عشر سنة ثم توفى هناك فى شهر محرم الحرام سنة ٤٦٠ عن عمر يبلغ ٧٥ ودفن فى داره .

وقد اتخذت بعد دفنه فيها مسجدا تعرف بمسجد الطوسى وفى داخله قبره الشريف وهو مزار معروف حتى اليوم .

---

١ - جملة « رحم المفيد » توافق بحساب الجمل ٤١٣ وهى سنة وفاته طاب ثراه

— الناشر —

وله فى علم الحديث غير ما ذكر كتاب «النهاية» وكتاب «الخلاف» وكتاب «الجمل والعقود».

وله فى الأصول، والرجال وسائر الفنون الإسلامية كتب كثيرة هى معجزة الدهر الخالدة، والذى يجدر بالمطالع أن يقف عليه هو أن الشيعة وإن كانت مجمعة على اعتبار الكتب الأربعة، وقائلة بصحة كل ما فيها من روايات غير أنها لا تطلق عليها اسم «الصحاح» كما فعل ذلك إخوانهم أهل السنة اذ أن الصحيح عندهم باصطلاح أهل الحديث ما كان سلسلة رجال الحديث كلهم إماميون وعدول، ومع هذا اللحاظ لا يمكننا أن نعبر عن الكتب الاربعة بالصحاح لأن فيها الصحيح وفيها الحسن وفيها الموثق.

وترى المجتهد الشيعى عندما تلقى عليه الرواية الموجودة فى أحد الكتب الاربعة لا يأخذها من غير فحص وتدقيق بل يبذل غاية وسعه فى الفحص عنها وعن رجالها، وغاية ما هنالك وجود هذه الرواية فى أحد هذه الكتب المعتبرة يكون أحد القرائن التى تسوغ للمجتهد العمل على مقتضاها.

وهذه طريقة سلكها مجتهد والشيعة من سالف الزمان.

فإن المحمدين الثلاث أصحاب الكتب الأربعة أول من افتتح هذا الطريق وأول من أسسه وأشاد بنيانه:

فهذا ثقة الإسلام الكلينى رحمه الله تراه مع قربه لعصر مؤلفى: «أصول الأربعمائة» وملاقاته كثيرا من مشايخ الإجازات لم يورد فى «الكافى» كل ما صححوه، وكل ما رأوا العمل به صحيحا كما هو ظاهر.

وعلى هذا جرى الصدوق فإنه لم يورد جميع ما صححه الكلينى وغيره مع ثقته به وعلمه بما قاساه من المصاعب والمشاق فى جمع أحاديثه بل ذكر سيدنا آية الأعظم أن الصدق لم يزد على رواية سبعة أحاديث عن الكلينى، وهكذا لو نظرت إلى شيخ الطائفة فإنه لم يعتمد فيما كتب إلا على نفسه، ولم يخرج

حديثا إلا بعد الفحص التام فهم إذاً مؤسسون فيما كتبوا وليسوا بمقلدين .

وقد قام بعد المحمدين الأوائل المحمدون الثلاث الأواخر وهم : محمد بن الحسن الحر العاملي ، ومحمد الباقر المجلسي ، ومحمد بن مرتضى المشهور بمحسن الفيض فألفوا ثلاث كتب جامعة هي من خيرة الكتب .

أما الحر فقد ألف : «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» ، وقد استقى أحاديثه من الكتب الأربعة ، وسائر الكتب المعتمدة وهي تزيد على السبعين .

ومن عادته أن لا يصرح باسم الكتاب الذي يأخذ عنه إلا أن يكون من غير الكتب الأربعة فإنه يلتزم اذ ذاك بالتصريح .

وتراه يجعل لكل مسألة باباً على حدة ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، مستقصياً كل ماورد فيها من الاخبار ، ضارباً صفحاً عن الأحاديث التي لا تتضمن شيئاً من الأحكام الشرعية ، مهملا للاخبار المشتملة على الأدعية الطويلة والزيارات والخطب .

وقد جعل لكتابه خاتمة جليلة ذكر فيها مهمات مسائل علم الرجال .

وقد جاء بعد العلامة الميرزا حسين النوري رحمه الله فكتب كتاباً سماه «مستدرك الوسائل» ذكر فيه كل ما أغفله الشيخ الحر مما لم يعثر عليه في الكتب المعتبرة أو عثر عليه ولم ينقل عنه لعدم معرفته بجامعه وهو من خيرة الكتب المؤلفة في هذا الفن (١) .

---

١ - نشرنا في عام ١٣٧٨ هـ في القاهرة خمسة مجلدات من الوسائل والمستدرك باسم «وسائل الشيعة ومستدركاتها» وقدم لها جماعة من الأساتذة والعلماء والكتاب بالقاهرة .

- الناشر -

وأما العلامة المجلسي رضوان الله عليه فقد ألف كتابه الجليل « بحار الأنوار » تطرق فيه كثيراً من العلوم وقد اشتمل على ٢٥ كتاباً [1] وهو دائرة معارف يجد فيه المطالع ما يشاء من مواعظ ، وحكم وعقائد، وفقه وتاريخ وغير ذلك وهو كما وسمه مؤلفه « بحار » .

فيه الدار ، والصدف ، والجوهر والخزف ، ولو يتاح له اليوم عالم ضليع يقوم بتهذيبه وحذف الزوائد منه لأصبح من أحسن الكتب المؤلفة قديماً وحديثاً .

وأما العلامة محسن الفيض فقد ألف « الوافي » وقد جمع فيه كل ما تضمنته الأصول الأربعة ولم يزد شيئاً سوى الترتيب والتبويب فقد ألفها على الطريقة المعروفة اليوم في ترتيب الكتب الفقهية للعلة التي ذكرها من « تعسر الرجوع إلى المجموع لاختلاف أبوابها في العناوين ، وتباينها في مواضع الروايات وطولها المنبعث عن الزيادات » .

وبالجملة فقد أجهد أسلافنا أنفسهم رضوان الله عليهم في ضبط الأحاديث فألفوا كتباً لا تحصر في فن الحديث ، والذي يجب أن لا يغفل عنه المطالع.

إن : « الأصول الأربعمائة » إنما هي لأربعمائة من تلامذة الصادق عليه السلام كما عرفت ولا يوجد لغير هؤلاء من سائر أصحاب الأئمة عليهم السلام كتب كثيرة لا تحصى ، مما يعطيك صورة صادقة عن كثرتها أن ما نقلوا عنه ولم يصرحوا باسمه يزيد على ستة آلاف وستمائة كتاب كلها مذكورة في كتب الرجال .

---

١ ــ بالقطع الكبير وطبع حديثا في طهران ـ إيران أكثر من مائة مجلد واشتركت في طباعته وإخراجه المكتبة الإسلامية بطهران بقطع السيرة النبوية لابن هشام . ـ الناشر ـ

والذى يظهر للمتتبع أن الشيعة أول من أسس علم الحديث حيث وجد منهم كثيرون قد ألفوا فى الصدر الاول فهذا سيدنا آية الله العم الأعظم يحدثنا فى كتابه الجليل: « نهاية الدراية » عن النجاشى أنه ذكر جماعة فى أول كتاب فهرس أسماء مصنفى الشيعة .

« منهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحب بيت مال أمير المؤمنين على عليه السلام له كتاب : « السنن والقضايا » رواه عن على عليه السلام .

ومنهم : ربيعة بن سميع روى عن على أمير المؤمنين عليه السلام له كتاب فى : « زكاة النعم » .

ومنهم سليم بن قيس الهلالى من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته. ذكر النجاشى إن له كتاباً[1] ثم رواه عنه بسنده ، ومنهم الأصبغ ابن نباتة .

وكان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام .

وذكر النجاشى أن البخارى ذكر ذلك ، ويظهر من ابن شهراشوب إن لسلمان الفارسى وأبى ذر الغفارى مصنفاً فيه .

وأنت إذا رجعت إلى كتب أهل السنة تجدهم يصرحون بأن لا مصنف[2] لهم فى الصدر الأول .

قال السيوطى:[3] « وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة فى خلافه عمر بن عبدالعزيز بأمره ففى صحيح البخارى فى أبواب العلم وكتب

---

١ ـ طبع أكثر من مرة فى النجف الأشرف ـ العراق ـ وبيروت ـ لبنان

٢ ـ كذا فى الأصل والصواب : ان لا مصنف

٣ ـ تدريب الراوى ص ٢٤ ـ الناشر ـ

عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء .

وإخرجه أبو نعيم في «تاريخ إصبهان» بلفظ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق أنظروا حديث رسول الله فأجمعوه .

قال في فتح الباري : يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي اهـ .

وبالجملة فقد بلغ الشيعة في فن الحديث درجة عالية لم يحصل على مثلها إخوانهم أهل السنة .

فإن علماء الرجال قد ذكروا لأبان بن تغلب أنه روى عن الإمام جعفر ابن محمد الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديثاً .

وأن أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني المعروف بابن عقدة قال :
أحفظ مائة وعشرين ألف حديثاً من أحاديث أهل البيت .

وقد كان يرى أنه يعلم ماعند الناس من أحاديث ولا يعلم الناس ماعنده .

وقد وثقه أصحابنا رضوان الله عليهم حتى قال عنه العلامة — وهو من أكبر علماء الإمامية — في خلاصته :

« إن أمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يذكر .

ولولا ضيق المجال لأتيتك بالشيء الكثير من الرواة وما ألفوه من الكتب ومن أراد أن يعرف ذلك ويتحقق عظمة الشيعة وجلالة قدرها فعليه بكتاب « الشيعة وفنون الإسلام» فإنه بحوث قيمة عن الشيعة يجدر بالباحثين أن لا تفوتهم فوائده .

* * *

مصادر السنة [1]

يجدر بنا - وقد تكلمنا عن مصادر الشيعة - أن نتكلم أيضاً كلمة موجزة حول مصادر إخواننا السُّنة ليقف المطالع الكريم على مصادر الفريقين .

قد يظن الكثيرون أن الشيعـــة لا تأخذ برواية السنى لأنه سنى، وأن أهل السنة لا تأخذ كذلك برواية الشيعى لا تصافه بالتشيع لأهل البيت عليهم السلام وهذا خطأ فى البحث وقد وقع بمثله أحمد أمين فى كتابه [2] قال:

« وكان للاختلاف المذهبى أثر كبير فى التعديل والتجريح .

فأهل السنة يجرحون كثيراً من الشيعة حتى أنهم نصوا على أنه لا يصح أن يروى عن على عليه السلام ما رواه عنه أصحابه وشيعته ، إنما يصح أن يروى ما رواه عنه أصحاب عبد الله بن مسعود .

وكذلك كان الشيعة مع أهل السنة فكثير منهم لا يثق إلا بما رواه الشيعة عن أهل السنة .

ونحن لا يسعنا أن نناقش أحمد أمين فيما يتعلق بسلفه فإنه أعرف بآرائهم وأطلع منا على مذاهبهم .

وأما قوله وكذلك كان الشيعة فهو حكم لا مصدر له لأن علماء الشيعة أنفسهم يصرحون فى كتبهم بما لا يتفق وما نقله أحمد أمين ، فها هم عندما

---

١ - ألف العلامة السيد محمد حسين الجلالى كتاباً أسماه « مصادر الحديث عند السنة » ولا يزال مخطوطاً . - الناشر -

٢ - فجر الاسلام ص ١٦ الطبعة الأولى

يقسمون الخبر إلى صحيح ، وحسن ، وموثق ، وضعيف .

تراهم يصرحون عند بيانهم للموثق بجواز الأخذ عن الراوى السنى .

قال العلامة الكبير الشيخ البهائى فى « وجيزته » عند تقسيمه للخبر ، وأما غير الإماميين من أحد الفرق المخالفة مع تعديل الكل من أصحابنا فموثق » .

وقال المحقق فى « كاشفة الحال » :

هو ما رواه العدل الغير الإمامى الموثوق بنقله المعلوم من حالة التحرز عن الكذب والمواظبة على الحديث على ما هو عليه .

ثم ذكر المحقق أيضاً بعضاً ممن عملت الطائفة بروايته وليس بشيعى فقال: ومن عملت الطائفة بروايته من أهل السنة حفص بن غياث ، وغياث بن كلوب ، ونوح بن دراج ، السكونى . . . إلخ

فأنت ترى أن الشيعة كانت — ولا تزال — تأخذ عن السنى إذا عرفت منه الصدق ، وعملت منه التحفظ .

ومن المعلوم أن الشيعة لا تفحص عن الحديث عندما يرويه المخالف لأنه صادر من غير شيعى لأن طريقة الفحص تسير عليها الشيعة مع السنى والشيعى من غير أى خصوصية .

وإذ عرفت مسلك الشيعة فى الرواية عملت نظريتهم فى الصحاح الست فإنهم لا يأخذون برواية منها ما لم يعتقدوا بحسنها وصحتها ، وهم لا يدعونها « صحاحاً » .

لأن الرواية الصحيحة فى اصطلاحهم كما عرفت ما رواها العدل الإمامى وهكذا إلى أن تصل إلى المعصوم عليه السلام .

وقد عرفت أنها مرتبة عالية لا يقولون بها حتى فى كتبهم الأربعة المعتبرة التى هى المصدر الوحيد لهم فى استنباط الأحكام الشرعية فكيف يقولون بها

فى الكتب الستة التى يرون فيها كثيراً من الغث والسمين كما ستعرف ذلك تفصيلا .

وها أنا الآن أذكر لك أيها المطالع الكريم بعض الرواة الذين اعتمدوا عليهم صحاحهم لتعرف قيمة هذه الصحاح ، وتطلع على نفسيات رواتها الأفذاذ ! ! .

أبو هريرة :

صحب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ووضع على لسانه أحاديث كثيرة مما لم يروها غيره ، وما أن رأى الناس كثرة حديثه حتى ضجوا منه ، واتهموه بالوضع ويدلك على ذلك ما رواه البخارى [1] عن أبى هريرة أنه قال :

« إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثاً ، ثم يتلو : إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى — إلى قوله - الرحيم » .

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون » .

كان أبو هريرة لا يعرف الكتابة كما يحدثنا نفسه بذلك [2] قال : « ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منى

---

١ - صحيح البخارى ١ - ٢٢

٢ - صحيح البخارى ١ - ٢٠ أقول : يحتمل أن يراد من قوله فإنه يكتب ولا أكتب أى كان يدون الحديث ولا أدونه ولكن الذى يعضد ذلك عدم التدوين عندهم فى صدر الاسلام كما عرفت .

إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه يكتب ولا أكتب ، [١]

ولا شك أن جهله بالكتابة لما يقوى شبهة الناس من كثر وضعه لأنه سوف يكون معرضاً للنسيان .

وقد كان لامحالة يحس بذلك فيضيق صدره ، لذلك تراه يسعى وراء رفع هذه الشبهة بمختلف التعبير ، فتارة تراه يقول :

شغل أصحاب الصفق بالأسواق والعمل بأموالهم كما عرفت .

وتارة يقول :[٢]

قلت للنبي : يارسول الله إنى أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه قال : أبسط رداءك فبسطته قال :

فغرف بيده ثم قال : ضمه فضممته فما نسيت شيئاً بعده » .

وإنك ترى أن هذا الحديث أدل دليل على كذبه إذ أن الحفظ ليس بمرائى ليضعه رسول الله فى رداء أبى هريرة ثم يأمره بضمه وإنما هو وجود معنوى يحس به الإنسان كما يحس بسائر الأشياء الوجودية التى لا تدرك بالبصر كالإرادة والكراهة والجوع والعطش وغير ذلك .

ولو أن أبا هريرة قال : إن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قد دعا له بالحفظ لأمكن تصديقه لأن غير ذلك خارج عما يتصوره العقل .

بل يكون حال هذه الدعوة حال غيرها من الدعوات التى كان يدعو بها لأصحابه من الشفاء ، والتأييد ، وتثبيت اللسان وغير ذلك مما هو مستفيض عنه صلى الله عليه وآله وسلم .

---

١ - صحيح البخارى ١ - ٢٣

٢ - أنظر سنن الدارمى ١ - ١٠٣ الحديث برقم ٤٨٦ و ٤٩٠ باب من رخص بكتابة العلم ، وسنن أبى داود ٣ - ٣١٨ الحديث برقم ٣٦٤٦ باب كتاب العلم .

وإن الأحاديث الدالة على كذبه كثيرة وكثيرة جداً فإنك بينما تراه يقول [١] :

« كنت ألزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشبع بطني حين لا آكل الخمير ، ولا ألبس الحرير ، ولا يخدمني فلان ولا فلانة والصق بطني بالحصباء » إذ تراه يحدث فيقول . [٢]

« ابق غلام لي في الطريق فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبايعته فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا غلامك فقلت هو لوجه الله واعتقته » وهذا الحديث برهان ساطع على كذبه إذ أنه كان فقيراً يلصق بطنه بالحصباء فمن أين له العبد المملوك ؟؟

وروى البخاري[٣] عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طير ولاهامة فقال أعرابي يارسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها فقال رسول الله فمن أعدى الأول ؟

وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة بعد يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يوردن ممرض على مصح .

وأنكر أبو هريرة الحديث الأول قلنا : ألم تحدث أنه لاعدوى فرطن بالحبشية »

ومن الغريب جداً إنك ترى البخاري يروي هذا الحديث عن أبي هريرة

---

١ — صحيح البخاري ٣ - ١٨٥

٢ — المصدر نفسه ٣ - ٥١

٣ - المصدر نفسه ٤ - ١٤

مع مناقضه ولعل البخارى يرى أن أحاديث أبى هريرة صحيحها وسقيمها جوهرة ثمينة لا ينبغى خلو صحيحه منها !

وقد روى البخارى عن أبى هريرة أنه قال[1] : قال النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده ،

وهذا كذب صريح وقد روى البخارى نفسه عن عائشة فى الصفحة نفسها أنه صلى الله عليه وسلم قال :

« تقطع يد السارق فى ربع دينار ». والبيضة والحبل لا تساويان ربع دينار كما لا يخفى .

وروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« كانت امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى :

إنما ذهب بابنك فتحا كما إلى داود عليه السلام فقضى للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود عليه السلام فقال آتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى :

لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة :

والله ما سمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول: إلا المديه [2]

وهذه قضية ظاهرة الوضع إذ لا يمكن لسليمان عليه السلام أن يرد حكم أبيه كما هو ظاهر وأما قسم أبى هريرة بأنه لم يسمع بالسكين فذلك انتهاك منه منه لحرمة الله واستخفاف منه باليمين لأن لفظ السكين هو اللفظ المتداول بين الناس قديماً وحديثاً على أن القرآن الكريم قد صرح باسم السكين فى سورة يوسف وهو قوله عز وجل : « وآتت كل واحدة منهن سكيناً ».

---

١ — صحيح البخارى ٤ - ١٠٦

٢ — صحيح البخارى ٣ - ١٠٥

كتابخانه تخصصى تاريخ اسلام وايران ١٣٧٤

وروى البخارى عن أبى هريرة[١] أنه قال النبى قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل فى سبيل الله فقال له الملك قل:

إن شاء الله فلم يقل ونسى فأطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان ، قال النبى صلى الله عليه وسلم .

لو قال: إن شاء الله لم يحنث وكان أرجى لحاجته ».

وهذا ظاهر الوضع فإنه وإن كان يجعل بالإنسان عندما يريد أن يفعل شيئاً أن يقول: إن شاء الله ولكنه إن ترك القول فلا يلزم منه عدم حصول الفعل كما أن قوله: لم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان لما يأباه العقل .

ومن أكاذيب أبى هريره التى رواها له البخارى أيضاً أنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم[٢] « إن الشيطان عرض لى فشـــد على ليقطع الصلاة على فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى يصبحوا فينظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام « ربى هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فرده الله خاسئاً » .

ومن الروايات التى تستدعى الدهشة ما رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم[٣] أنه قال : اللهم إنما انا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته ، أو لعنته أو جلدته ، فاجعله له زكاة ورحمة .

فان اللعن هو الطرد والإبعاد ، وهو يستلزم تنحيه عن الخير وانصافه بكل صفة ذميمة ، لا زكاته ورحمته .

---

١ — صحيح البخارى ٣ - ١٦٥

٢ — المصدر نفسه ١ - ١٣٣

٣ — صحيح مسلم ٢ - ٣٩٢

والذى حدى أبا هريرة إلى وضع هذه الرواية تزكيته لبعض الذين يخدسهم أبو هريرة ممن لعن أوسب أو جلد بأمر منه صلى الله عليه وآله سلم

وروى مسلم[1] عن أبى هـــريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت إلى موسى « عليه السلام » فلما جاء صكه ففقأ عينيه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت قال: فرد الله عينيه وقال ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال: أى ربى ثم م ؟ قال ثم الموت .

قال : فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر

وهذه واضحة الكذب فإنا لا نجوز على موسى « عليه السلام » ـ وهو نبي ـ أن يرتكب هذا الفعل الفضيع مع علمه يقيناً بأن الموت حق ومع علمه بأن ملك الموت إنما هو رسول ربه إليه ، ولكن شاء أبو هريرة أن ينتقص من أنبياء الله ، وشاء أصحاب الصحاح ان يدونوا له خرافاته على كل حال .

وروى مسلم[2] عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما رجـــل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى إنما خلقت للحرث فقال الناس : سبحان الله تعجباً وفزعاً أبقرة تكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإنى اؤمن بهذا وأبو بكر وعمر وقال أبو هريرة :

---

١ ـ صحيح مسلم ٢ ـ ٣٠٨

٢ ـ المصدر نفسه ٢ ـ ٣٠٧

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بينا راع فى غنمه غدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه فالتفت إليه الذئب فقال له من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنى اؤمن بذلك وأبو بكر وعمر وهما ثمة القضيتان تناديان بكذب أبى هريرة لامتناع تكلم البقرة والذئب عقلا وعادة .

نعم: يمكن تكلمهما إذا أمرهما رسول الله بذلك تأييداً لنبوته وتصديقاً لدعوته لأن المعجزات ، وخوارق العادات هى التى كانت على الأغلب تحمل الإنسان على التدين بدين والاعتراف بإرسال الرسل .

وأنت ترى أن تكلمهما لم يكن فى موقف مباهلة ، أو تأييد دعوة لتؤمن بحديث أبى هريرة الكاذبين .

ولم يحمل أبا هريرة على هذا الوضع إلا زعمه بأنهما مما يرفع بهما منزلة أبى بكر وعمر الروحيه بين الناس .

ولاشك أنهما يبرئون من مثل هذه الأحاديث لأنها تحط من قدرهما وتضطر الناس لأن يقيسوا على هذه الأحاديث سائر الأحاديث التى يذكرها لهما أشياعهم .

وفى الحق أن أبا هريرة كان كثير الوضع ولكنه لسوء حظه لم يكن ليحسن الوضع فكان يحدث كما عرفت بكل ما يختلج فى ذاكرته ولو أوتى أبو هريرة حسن تنظيم الأحاديث وتزويرها كما أوتى من الاقتدار على الاختلاق لضل به خلق كثير ولكن شاء أبو هريرة شيئاً وشاء الله شيئاً آخر.

شاء أبو هريرة أن يضع السم ، بالدسم وأن يدس فى أحاديث رسول الله ما يصيب بذلك غرضه .

وشاء الله أن يطلع الناس على سريرته ويعرفهم كذبه .

وقد قيل لابن عمر كما فى صحيح مسلم [١] إن أبا هريرة يقول : « سمعت رسول الله يقول : « من اتبع جنازة فله قيراط من الأجر .

قال ابن عمر : أكثر علينا أبو هريرة .

ومما يدلنا دلالة واضحة على كثرة وضعه أن أمير المؤمنين عليه السلام — وهو ابن عم الرسول ومن ربى فى حجره وهو الملازم له داخلا وخارجاً — — وعائشه وهى زوجته وفى خدمته ليلا ونهاراً — ومع ذلك لم يرو عنهما ما روى عن أبى هريرة الذى كان يجتمع بخدمته إلا كما كان يجتمع بخدمته سائر المسلمين .

وقد تنبه لهذا سراج الدين البلقينى — وهو من علمائهم الأعاظم — فأبطل كل ما تفرد به أبو هريرة وقال : « إن وقت النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد كان مضبوطاً بالنقل من السير والتواريخ والأحاديث لأنه كان يخرج عند طلوع الفجر إلى المسجد ويصلى بالناس ويبقى معقباً إلى طلوع الشمس مع الناس .

ثم يدير وجهه إلى الناس حتى يقضى حوائجهم ويبقى معهم فى الكلام حتى يقرب الظهر فيدخل منزله ويخلو مع زوجاته إلى صلاة الظهر .

ثم يخرج ويصلى بالناس ويحول وجهه اليهم بعد الصلاة لتعليم الأحكام إلى قبل الغروب فيدخل منزله إلى وقت الصلاة .

ثم يخرج للصلاة بالناس فيدخل إلى منزله وينام مع زوجاته إلى نصف الليل .

ثم يقوم لصلاة الليل إلى طلوع الفجر ، فهذا ليله وذاك نهاره ففى أى

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٣٩٤ .

وقت تفرد به أبو هريرة مع بعده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النسب والحسب حتى روى عنه هذه الأخبار المتكثرة» .

وأكاذيب أبي هريرة وخرافاته يضيق عنها هذا الفصل وأحسب فيما سقناه للمطالع الكريم كفاية[1] .

عبد الله بن عمر :

صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه كثيراً ووضع على لسانه كثيراً ، وهو كأبي هريرة من رجال الصحاح وممن تدور عليه قطب رحاها ويمكننا أن نستوضح حاله جلياً ونعرف مبلغ ما وصل إليه من التدين ببيعته ليزيد وحض أولاده على التمسك والاعتصام بحبلها فهذا مسلم يحدثنا عن نافع[2] قال : «جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد ابن معاوية فقال : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال : إني لم آتك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

من خلع يداً من طاعة لقي الله تعالى يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميته جاهلية» ويحدثنا الإمام أحمد[3] عن نافع أيضاً قال : «لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم

---

١ ـ صدرت ثلاثة كتب عن أبي هريرة الأول : للامام شرف الدين والثاني للأستاذ الشيخ محمود أبو رية والأخير الشيخ عبد الله السبيتي واسمه «أبو هريرة في التيار» وإنا نحيل القارىء الكريم لمطالعتها والاستفادة منها .

٢ ـ صحيح مسلم ٢ ـ ١٢١

٣ ـ مسند الامام أحمد ٢ ـ ٤٨

ـ الناشر ـ

تشهد ثم قال : أما بعد قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم يقول : إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان وإن من أعظم الغدر أن لا يكون له الإشراك بالله تعالى أن يبايع رجل رجلا على بيع رسوله ثم ينكث بيعته فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يشرفن أحد منكم فى هذا الأمر فيكون صلى الله عليه « و آله » بينى و بينه .

وغريب جداً أن يأتى ابن عمر فيبايع يزيد على أثر ما فعل يوم الحرة من قتل الأطفال الرضع والشيوخ الركع ، وهتك النساء المخدرات وغير ذلك من الفظائع التى كل واحدة منها بمجردها تدل على الأفل على فسقه .

وعجيب منه أن يحض أولاده على البقاء على بيعته مع ما علم من فسقه وفجوره وشربه للخمور مما هو مستفيض عنه . وقتله الحسين عليه السلام وأولاده وإخوانه وبنى عمومته ، وأصحابه وسبى عياله .

وتمثيله بقتلهم تلك المشاهد المؤلمة التى لم يحك لنا التاريخ حتى اليوم وقعه تشاكلها مما يجعلنا أن نعتقد أن يزيد لم يكن على شىء من الإسلام كما يشهد لذلك قوله :

لعبت هاشم بالملك فـــلا خبر جاء ولا وحى نزل

إن ابن عمر نفسه يحدثنا عن رسول الله [1] أنه قال : « على المرء المسلم السمع ، والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية

---

١ - صحيح مسلم ٢ - ١١٦

فلا سمع ولا طاعة ، وأظن أن وقعة الحرة وقتل الحسين عليه السلام وهدم الكعبة المشرفة كلها أمر بطاعة بنظر عبد الله بن عمر لذا وجب عليه طاعته والوفاء ببيعته .

وإن ابن الأثير يحدثنا [1] : « أنه لما عزم معاوية على البيعة ليزيد أرسل إلى عبد الله بن عمر مائة ألف درهم فقبلها فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر هذا أراد ، إن ديني عندي إذاً لرخيص وامتنع » .

وإذا كان ابن عمر يرى أن البيعة ليزيد دليل على رخص الدين بنظره فما الذي عكس بعد ذلك القضية وغير المجرى ؟؟ .

وماهي الأسباب التي دفعت ابن عمر ؟؟ أن يقف خطيباً في أهله وولده حاضاً لهم على التمسك بيزيد ، محذراً لهم من خلع طاعته ونكث بيعته مع أن الناس كافة قد أجمعت على خلعه ونبذه وعدم الانقياد له .

لاشك أن ذلك منه لأغراض دنيوية ، ودون ما يظهره من التمسك بالحديث الشريف المصرح بأن « من مات وليس بعنقه بيعة مات ميتة جاهلية » لأن بيعة فاسق كيزيد ليست بجائزة كما لا يخفى .

والذي أظنه أن ابن عمر إنما امتنع عن بيعة يزيد أولا لقرب عهده بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزول الوحي .

فإن الأحاديث النبوية الذهبية كانت لا تزال في ذلك العهد ترن في آذنه وكانت الحكم والمواعظ الحقائق لا تزال شاخصة أمام بصره تغبطه ببيعة يزيد وأبيه وتصور له فضاعة دعوته له .

أما وقد بعد العهد كثرت الفتن وتتابعت الخطوب فقد ضعفت تلك العقيد

---

١ — تاريخ ابن الأثير ٤ - ١٩٩

الدينية وتحولت بنظره الأشياء حتى آل الأمر أن جعل بيعة يزيد — وهي التي كانت يومذاك بنظره موجبة لرخص الدين — بيعة لازمة في عنقه يجب الإقرار بها « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين » .

وإن شخصاً هذه نفسيته ، وهذا مبلغ تدينه لا نستطيع — والحالة هذه — أن نعول على أحاديثه ونأخذ بآرائه ونظرياته على أن كثيراً من رواياته خرافية وصريحة الكذب . روى البخاري في الجزء الثاني أن عبد الله ابن عمر قال: « أرتقيت فوق بيت حفصه فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقضي حاجته مستدبراً القبلة مستقبل الشام »[1] .

وهذا خلاف لما أجمعت عليه الأمة من عدم جواز استقبال القبلة واستدبارها وخلاف لمـــا روى البخاري[2] من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا أو غربوا » .

وخلاف لما اشتهر عنه صلى الله عليه و آله وسلم من أنه ما رؤي على بول أو غائط قط .

وقد ارتبك بعض شراح البخاري عند ذكر هذا الحديث وحمله حسن ظنه بابن عمر أن جعل فعل النبي هذا من خواصه ومن جملة الأحكام التي اختص بها دون غيره .

---

١ - صحيح البخاري ٢ - ١١٧ طبع سنة ١٣٢٠ هـ

٢ - صحيح البخاري ١ - ٢٦

وليس هذا الإحتمال بأقل غرابة من رواية ابن عمر فإنا نقول :

إن خواص النبي صلى الله عليه وآله وسلم معلومة لدى كافة الامـــة الإسلامية ، وليس هذا الفعل من جملتها .

وثانياً إن خواصه فيها دلالة قوية على رفيع منزلته وعظمته عند الله لما في هذه الخواص من المزية الظاهرة التي لا ينالها غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وليس هذا الفعل الذي رواه ابن عمر ما يشعر بذلك بل على العكس فإن النبي صلى الله عليه و آله وسلم ماانهى عن أستقبال القبلة واستدبارها إلا كرامة لها وهو صلى الله عليه وآله وسلم أحق بكرامتها وأجدر بتعزيزها فإنها قبلة المصلي التي يتجه بها العبد نحو ربه .

وروى البخاري[1] عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار كبواً فيقول الله :

إذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى فيقول :

إذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيقول : إذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى فيقول :

إذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها وإن لك عشرة أمثال الدنيا فيقول : تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقول :

ذلك أدنى أهل الجنة منزلة » .

---

١ ــ صحيح البخاري ٤ - ٨٦

وأنت ترى أنها ظاهرة الوضع ولست أدرى ما السبب الذى جعل الله تعالى أن يخبره بأن له مثل الدنيا وعشرة أمثالها ؟ وأن يشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أدنى أهل الجنة منزلة ؟؟

ولعل السبب هو عدم وثوق الرجل بقوله عز وجل ، وحمل قوله على السخرية والضحك عليه ! !

والذى يقوى وضعها قوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه إذا لا داعى للضحك كما ترى .

وقد روى هـــذا الحديث أبو هريرة ولكن بصورة أخرى وبشكل أفضع كما هى طريقته فى سائر رواياته .

وأظن أنك ستحكم معى إن عبد الله أبرع من أبى هريرة فى فن الوضع على كثرة ممارسة أبى هريرة لهذا الفن ، واستعماله له ،

فإن عبد الله طالما يأتيك بالحديث فتأخذه من غير أن تحس بالوضع إلا أحياناً شأن اللبق الماهر .

وها أنا الآن أورد رواية أبى هريرة ليستطيع المطالع أن يقايس بين الروايتين ويقف على كلتا الطريقتين ، فهذا مسلم يروى عن أبى هريرة . (١) بعد ذكر سؤال الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من إمكان رؤية الله وجوابه صلى الله عليه وآله وسلم لهم بأنهم لا يضارون برؤيته كما لا يضارون برؤية الشمس والقمر قال :

ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول : أى رب أصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحهـــا واحرقنى ذكاها .

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٨٦

فيدعو الله ما يشاء أن يدعوه، ثم يقول تبارك وتعالى:

هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ويعطى ربه من عهود ومواثيق ماشاء.

فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ماشاء الله أن يسكت ثم يقول:

أى ربى قدمنى إلى باب الجنـــة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذى أعطيتك.

ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول: أى ربى ويدعو الله حتى يقول له:

هل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول: لا وعزتك فيعطى ربه ماشاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والشر فيسكت ماشاء الله أن يسكت ثم يقول:

أى ربى أدخلنى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك؟ أن لا تسأل غير ما أعطيت!!

ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أى ربى لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعوا الله حتى يضحك الله عز وجل منه.

فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة فإذا دخلها قال له تمنه فيسأل ربه ويتمنى أن الله ليذكره يقول: من كذا وكذا حتى انقطعت به الأمانى.

قال الله تعالى لذلك لك ومثله معه».

وأنت ترى أن أبا هريرة قد أثبت لله التجسيم لأنه صرح بأن الناس تراه كرؤيتهم للشمس والقمر، وأثبت له الضحك فى مقام لا يستدعى الضحك وبقطع النظر عن ذلك كله فقد صور الله لنا إلاهاً ساذجاً يغتر بالمواعيد الكاذبة.

وأنه لا يعلم ما سينويه هذا الرجل من الحنث بإيمانه مع تكرر غدره .

وهذه صفات نربأ بأن يتصف بها العادى من البشر ، فكيف بالله تعالى تقدست أسماؤه وتعالت صفاته وتنزه عما يقوله الجاهلون .

ولست أدرى كيف كان أبو هريرة يعتقد برب هذه صفته ، وهذا مبلغ علمه ، ومبلغ قـــدرته كما أنى لست أدرى كيف يذكر أصحاب الصحاح هذه الأحاديث ويدعونها مع ذلك صحاحاً .

أليست هذه الأحاديث ضربة قاضية على الدين الإسلامى ؟

ألا تكون مشوهة لسمعة الشريعة الإسلامية التى عرفت بالصفات الفاضلة وامتازت أحكامها بالخلو عن الخرافات التى ذهبت برونق كثير من الديانات .

عائشة :

كانت عائشة شعلة ذكاء وجذوة فهم كما كانت بركاناً ثائراً وناراً مستعرة طيلة حياتها ففى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت دوماً تسعى سعيها المتواصل لتكدير صفو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتحمله على بغض زوجاته وتستعمل الوسائط الفعالة فى تحقيق هذه الأمنية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .

إن عائشة وحفصة تواطئتا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعزمتا أن تقولا له إذا رجع من عند زينب إحدى زوجاته وقد شرب عسلا .

إذا نشم منك رائحة المغافير وقد فعلتا فغضب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهجرهما شهراً .

وقد سأل عبد الله بن العباس عمر (رض) عن الأمرأتين اللتين قـــد تظاهرتا عليه فأجابه : إنهما حفصة وعائشة وذكر له المسألة تفصيلا .

ومن شاء أن يقف على هذه القصة فليرجع إلى البخارى فإنه ذكرها مفصلا فى عدة مواضيع من صحيحه[١] .

وفى الحق إن من يقرأ صفحة حياة عائشة جيداً يعلم أنها كانت مؤذية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأفعالها وأقوالها وسائر حركاتها فها هى تحدثنا فتقول كما فى البخارى :[٢] «كنت أنام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى فى قبلته فإذا سجد غمزنى فقبضت رجلى فإذا قام بسطتها» .

وفى استعمال ذلك من سوء الأدب مالا يخفى على المطالع .

وتحدثنا كما فى البخارى [٣] أنها لما وهبت خوله بنت حكيم نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: قلت أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشاء منهن قلت : يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك» .

وأنت ترى أن ذلك جرأة مناهية فإن نسبة المسارعة إلى الله تعالى والهوى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قول من لا يرعى لهما حرمه ولا يرى لهما إلا ولا ذمة .

هذه حالة عائشة فى حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأما بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فقد خرجت من بيتها بعد أن أمرها الله تعالى أن تقربه .

وألبت الناس على إمام زمانها أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن أوصاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا تخرج عن طاعته .

---

١ — صحيح البخارى ٣ - ١٢٨ و ١٦٠ و ١٦٨

٢ — صحيح البخارى ١ - ٦٣

٣ — المصدر نفسه ٣ - ١٥٣ .

وأن لا تكون تلك المرأة التي تركب الجمل وتنبحها كلاب الحوأب .

فما أصغت لهذه الوصايا الثمينة التي كان يلقيها عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حين لآخر .

ومضت على غلوائها فكان ما كان من تفريق الكلمة وتشتيت الشمل ، وقتل النفوس البريئة التي حرم الله قتلها ولقـــد كان النبي ناظراً لهذه الفتنة وعالماً بما سيؤول إليه حال هذه الأمه فهذا البخاري[1] يحدثنا فيقول : « قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فاشار نحو مسكن عائشة فقال هاهنا الفتنه ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان » وروى مسلم أيضاً[2] « قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» .

وأنت ترى أنه ليس فى استطاعة الباحث المتدين أن يثق بآراء السيدة عائشه ويعتمد على أحاديثها قبل الفحص مادام قد اطلع على حالها ووقف على سير حياتها .

وهكذا الكلام فى روايات أبي موسى الأشعرى ، وأنس بن مالك فإنه لا يمكن الاعتماد على رواياتهما لا نحرافهما عن على عليه السلام .

وقد ورد فى الخبر المتفق عليه :

« لا يحبك يا على إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق »

وورد فى القرآن الكريم : « إن المنافقين لكاذبون »

ولا شك أن المنافق لا يكون ثقه أو عدلا .

---

١ — صحيح البخارى ٢ - ١١٧

٢ — صحيح مسلم ٢ - ٥٠٣

أما أبو موسى فهو الذى غدر يوم التحكيم ، وقد كان معروفاً بكراهته لأمير المؤمنين عليه السلام وولده .

وقد حدثنا الإمام أحمد فى مسنده[1] : « أنه جاء أبو موسى إلى الحسن بن على يعوده فقال له على عليه السلام أعائداً جئت أم شامتاً ... الخ

وما أنس فكذلك فهو الذى طلب أمير المؤمنين منه الشهادة له بيوم الغدير فامتنع واحتج بكبر سنه وطول العهد فدعا عليه السلام بالبرص فاصابته فى ذلك الحين دعوته .

وإذا سقطت عن العمل أحاديث أبى هريرة وابن عمر وعائشة وأبى موسى وأنس فقد سقطت جل أحاديث الصحاح لأنهم أكثر رواية من غيرهم فإن لأبى هريرة ٥٣٧٤ حديثاً ولعائشة ٢٢١٠ .

ولعبد الله بن عمر وأنس بن مالك ما يقرب من مسند عائشة .

ولأبى موسى أحاديث كثيرة .

وإذا كان هذا حال أكابر رواتهم ومحدثيهم فكيف بباقى رجال الصحاح الذين هم بين خارجى ومضعف ومجهول ومرجىء وقدرى وناصبى .

وقد ألتفت إلى هذا النقص جماعة من أعلام السنة .

قال ابن يسع فى كتاب : « معرفة أصول الحديث » أن البخارى احتج بأكثر من مائة مجهول وروى عنهم .

وقال ابن الصلاح فى مقدمته المعروفة فى أصول الحديث « احتج البخارى بجماعة سبق من غيره الجرح لهم كعكرمة مولى ابن عباس وكإسمعيل بن أبى أويس وعاصم بن على وعمر بن مرزوق وغيرهم .

واحتج مسلم بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم وهكذا فعل أبو داود السجستانى اهـ » .

١ ـ مسند الإمام أحمد ١ ـ ٨٠

وقال العلامة السيوطي في كتابه المسمى بـ« تدريب الراوي » في شرح تقريب النواوي قال عند الترجيح بين البخاري ومسلم .

« إن الذين انفرد البخاري بالإخراج لهم دون مسلم أربعمائة وبضعة وثمانون رجلا المتكلم فيهم بالضعف منهم ثمانون رجلا والذين انفرد مسلم بالإخراج لهم دون البخاري ستمائة وعشرون ، المتكلم فيهم بالضعف منهم مائة وستون »[1]

ونقل السيوطي عن ابن الصلاح أنه قال : « قد عيب على مسلم روايته في صحيحه عن جماعة من الضعفاء والمتوسطين »

وقد تصدى العلامة بن حجر في كتابه : « التقريب » وفي مقدمة شرحه للبخاري إلى حصر ما روى عن الخوارج والمضعفين بما يضيق هذا الفصل عن ذكره ، وتصدى لذلك أيضاً العلامة الدهلوي في كتابه شرح « مشكاة المصابيح » .

فمن أراد الوقوف عـــلى ذلك فليرجع إلى هذه الكتب الجليلة وعندها تتجلى لديه الحقائق ويعلم مكانة هذه الصحاح من الصحة .

إن هذه الصحاح مشتركة في اشتمالها على الأكاذيب والخرافات ولكن البخاري متصف بصفة غير موجودة في غيره وهي نصبه وبغضه لأهل البيت كما هو ظاهر للمتتبع فإنك تراه عند ذكره لباب فضائل علي لم يتجاوز الاسطر في عد فضائله كما أنه لم يذكر من فضائله إلا ماشاع وذاع مما لا يسع البخاري إلا ذكره ، على أن ذكره ليس فيه مزيد أهمية إذ ليس هناك فرد من الأمة الإسلامية من يجهل مثل هذه الأحاديث ، وهكذا صنع بالنسبة إلى غيره من أهل البيت عليهم السلام ، ولكنه إذا ذكر غيرهم ممن ليس له سابقة ولا مآثر

---

١ ـ تدريب الراوي ص ٣٥

ولا محامد تراه ينشرح له صدره فيسهب ويطنب، ويلم بكل رواية يشعر بفضله ومكانته وإن كانت الرواية ضعيفة أو كاذبة.

فها هو يذكر حديث المساراة [١] المشهور فيقول: «قالت: فاطمة أسر إلى النبي فضحكت»، ولم يكمله عداوة منه لها ولآل محمد عليهم السلام.

وترى من عداوته أنه لا يروى أخوة أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم مع ثبوتها ويروى الحديث الموضوع الذى يذكر فيه أخوة أبي بكر له صلى الله عليه وآله وسلم ولم يروا أيضاً الحديث المشهور الذى أمر فيه النبى صلى الله على وآله وسلم بسد الأبواب إلا باب على عليه السلام [٢] مع إنك قد عرفت فى صدر الكتاب أنه من خصائصه نعم أضرب عنه وروى حديث سـد الأبواب إلا خوخة أبي بكر وقد نص الأعلام الإثبات على ضعفه.

وأن نصبه ليبدوا بأجلى مظاهره فى قصة نجران [٣] فانه ذكر أنه أرسل لهم أبا عبيدة الجراح وقال: لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة الجراح. ولم يأت على ذكر أهل البيت عليهم السلام بالكليه مع أن الأمة قد أجمعت على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يباهل أهل نجران إلا بعلى وفاطمة والحسن والحسين مما هو مشهور مستفيض.

وأن الروايات التى دعى نصب البخارى إلى إثباتها كثيرة جداً يضيق عنها هذا الفصل وهى لا تخفى على المتتبع ومن أراد أن يقف تماماً على

---

١ ـ صحيح البخارى ٤ ـ ٤٠

٢ ـ حديث سد الأبواب إلا باب على ذكره السمهودى الشافعى فى كتاب: «وفاء الوفا».

٣ ـ صحيح البخارى ٢ ـ ٥١ ـ الناشر ـ

انحراف البخاري عن أهل البيت عليهم السلام فليرجع إلى باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ذكر فيه ما يذهل العقول ويحير الألباب.

وقد أثبت البخاري عدة أحاديث في حق كثيرين ظاهرة الوضع منها ما رواه أنس [١] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

وأنت ترى أن الحديث ظاهر بأن عائشه أفضل النساء جميعاً مع أن في النساء فاطمة وخديجة عليهما السلام وهما لا شك أفضل منها فإن البخاري نفسه يحدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عن فاطمة: [٢] «إنما هي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها».

وهو الذي يحدثنا أيضاً في صحيحه أن النبي قال لفاطمه عليها السلام: [٣] ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة.

وأنت ترى أن حديث فاطمة بضعة مني كاف للدلالة على أفضليتها فكيف بعد أن صرح النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها سيدة نساء المؤمنين.

وأما أم المؤمنين خديجة عليها السلام فإن البخاري أيضاً يحدثنا [٤] عن عائشة أنها قالت: «ما غرت على امرأة لرسول الله كما غرت على خديجة لكثرة ذكر رسول الله إياها، وثناؤه عليها وقد أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبشرها ببيت لها في الجنة.

ولاشك أن رسول الله لم يكن ليذكرها كثيراً إلا لفضلها، وجلالة قدرها وما غيرة عائشة عليها إلا دليل على أنها كانت عند النبي صلى الله عليه

---

١ - البخاري ٢-١٤٨ و ١٨٥.
٢ - المصدر نفسه ٣ - ١٦٤
٣ - المصدر نفسه ٤ - ٦٠
٤ - صحيح البخاري ٣-١٦٤

و آله وسلم أفضل زوجاته بنظره و أرفعهن مرتبة كما ظاهر من حديث عائشة، فالحديث إذاً موضوع لا صحة له و بقطع النظر عن ذلك كله فإنه ظاهر الوضع بتعبيره لأنه بعبائر الفقهاء أشبه منه بعبائر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى البخاري أيضاً عن بعضهم [1] أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم « أي الناس أحب إليك قال عائشة : قلت من الرجال قال أبوها .
قلت : ثم من قال : عمر فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم .

وهذا من الأحاديث الموضوعة لأن تقديم فاطمة على عائشة مشهور مستفيض وقد قال : أمير المؤمنين عليه السلام كما يحدثنا به الإمام أحمد في مسنده :[2] :

« ألا أخبرك عني وعن فاطمة كانت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت أكرم أهله عليه ... الحديث » .

وكذلك تقديم خديجة عليه السلام أيضاً معلوم كما عرفت ذلك من حديث عائشة المتقدم ، وأما أن أبا بكر وعمر هما المتقدمان عند رسول الله في الرجال وفيهم مثل : أمير المؤمنين عليه السلام ووالديه الحسن والحسين فذلك مما لا يتصور .

فهذا الإمام أحمد يحدثنا في مسنده [3] (أن منزلة علي من رسول الله لم تكن لاحد من الخلائق) ويحدثنا أيضاً : [4]

---

١ - صحيح البخاري ٣ - ٤٨ .
٢ - مسند الإمام أحمد ١ - ١٥٣ .
٣ - المصدر نفسه ١ - ٨٥ .
٤ - مسند الامام أحمد ١ - ٩٨ .

وكذلك البخارى[١] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له وأما أنت ياعلى فنى وأنا منك ، وأن من كان نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشك أنه يكون أول الرجال منزلة عنده .

وأما الحسن والحسين عليهما السلام فقد ذكر البخارى [٢] أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال عنهما : هما ريحانتاى من الدنيا .

وقد حدثنا الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : [٣] من أحبنى وأحب هذين - أى الحسن والحسين - وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة) وأنت ترى أنها منزلة ساميه دونها كل منزلة واين عن هذه المكانة أبو بكر وعمر !! .

هذه حالة البخارى بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام الذى أوجب الله تعالى عليه وعلى سائر المسلمين مودتهم فى محكم كتابه الكريم ما عرفت من الغمط لحقوقهم والعداوة لهم .

وهذه حالته مع غيرهم من التنويه بذكرهم ورفع منزلتهم .

والأغرب من ذلك كله أنه لم يحتج فى صحيحه بصادق أهل البيت الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام مع احتياج غيره به من أصحاب الصحاح .

نعم لم يحتج به وهو من أهل البيت عليهم السلام الذى ورد توثيقهم فى كتاب الله العزيز حيث قال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » .

---

١ - صحيح البخارى ١ - ٣٢

٢ - مسند الإمام أحمد ١ - ٧٧

٣ - المصدر نفسه ٢ - ١٧٦ ، وفى ٣ - ٤٧ وفى ٤ - ١٤٨ .

واحتج بالخوارج الذى روى نفسه عدة أحاديث فى أمكنة مختلفة تصرح بخروجهم عن الدين الاسلامى [١] .

ومن الخوارج الذى احتج بهم عمران بن حطان الخارجى مدح ابن ملجم فى قوله :

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
أنى لأذكره يوماً فأحسبه ... أو فى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض اقبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغياً وعدوانا
قد در المرادى الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
أمسى عشية غشاه بضربته ... بما جناه من الآثام عريانا

ولعل أبياته هذه هى التى جعلته أن يخلد البخارى إليه بثقته ، ويعتمد عليه فى صحيحة وهى التى جعلت له منزلة سامية تخوله أن يعده البخارى من رجاله.

ولست أدرى كيف يعتمد على مثله وقد وصف ابن ملجم بالتقى ونعت أمير المؤمنين عليه السلام بكونه شر الخلق، ألا تكون هذه الأبيات القارصة التى تصتك لها المسامع دليلا كافياً على جرحه وإسقاط عدالته ؟

ولا يسوغ الخصم أن يفاجئنا فيقول : إن البخارى لم يعتمد على عمران ابن حطان إلا لكونه ثقة صدوقا لأن البخارى اعتمد فى كتابه على كثير من المعروفين بالكذب فها هو ينقل كثيراً عن عكرمه مولى عبد الله بن العباس ، وهو بقطع النظر عن كونه خارجياً كما نص على ذلك ابن خلكان والشهر ستأتى فى « الملل والنحل » عند ذكره للخوارج وغيرهما ممن تعرض لترجمة أحواله كان : كذوباً يضرب بكذبه : المثل .

---

١ ـ مسند الإمام أحمد ٢ ـ ١٧٦

وقد حدثنا العلامة ابن حجر العسقلانى فى كتابه المسمى «بفتح البارى» أنه نقل عن ابن عمر أنه قال لنافع : تكذب على كما يكذب عكرمه على ابن عباس .

وروى جبير بن عبد الحميد عن زياد أنه قال : دخلت على على بن عبد ابن عباس فرأيت عكرمة مقيداً فسألته عن ذلك فقال : أبه يكذب على أبى.

وروى عن ابن سيرين أنه قال فيه لما سئل عنه مايسوئى أن يدخل الجنة ولكنه كذاب .

وكذبه عطاء أيضاً ، وكذبه يحيى بن سعيد الأنصارى .

وأمر مالك أن لا يؤخذ عنه .

قال الشافعى — وهو يعنى مالكا — سيء الرأى فى عكرمة قال : لا أرى لأحد أن يقبل حديث عكرمة .

وقال القاسم : عكرمة كذاب يحدث غدوة بحديث يخالفه عشيه .

وقال ابن سعد عكرمة بحر وتكلم الناس فيه ، وليس يحتج بحديثه إلى آخر ماذكر .

ونقل الحافظ فى « تهذيب التهذيب » عن الإسماعيلى فى المدخل أن عكرمة ذكر عند أيوب من أنه لا يحسن الصلاة فقال ايوب أو كان يصلى؟ وذكر فى التهذيب : أن جنازته وجنازة عزة اتفقتا عند باب المسجد فصلى الناس على كثير وتركوا عكرمة فما شهده إلا السودان .

وأن ذلك كله يعطينا صورة صادقة عن سقوط منزلته لدى الخاص والعام من المسلمين كما لا يخفى .

ويحتج أيضاً بسمرة بن جندب الخارجى احد ولاة معاوية الذى قتل

ثمانية آلاف من المسلمين وقد قتل غداة يوم أربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن ، وأمره في سفك الدماء مشهور .

وقد حدثنا الإمام أحمد أنه كان يبيع الخمر أيام عمر [1]

وقد كان عمر يقول : إن سمرة بن جندب باع خمراً قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها - أي أذابوها - فباعوها كما ذكره الزمخشري في « الفائق » .

وقد عزله معاوية فقال سمرة : لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما اطعت معاوية ما عذبني أبداً .

واحتج بالمغيرة بن شعبة المشهور بالكذب والفسق والفجور .

ولو أردنا أن نستقصي ما أعتمده من الكذابين لضاق المجال .

نعم : احتج بهؤلاء جميعاً ووثقهم واعتمد عليهم في صحيحه وروى عنهم ولم يحتج بالإمام جعفر بن محمد عليهما السلام الأمر الذي يضطر الإنسان لأن يقف لهذه الحالة المؤلمة وقفة المندهش الحائر لا يبدي ولا يعيد .

وقد أجاد العلامة أبو بكر بن شهاب الدين — وهو أحد أعلام السنة حيث يقول في هذا الصدد :

قضية أشبه بالمرزئة ... هذا البخاري إمام الفئه
بالصادق الصديق ما احتج في ... صحيحه واحتج بالمرجئه
ومثل عمران بن حطان أو ... مروان وابن المرأة الخطئه
مشكلة ذات عوار إلى ... حيرة أرباب النهى ملجئه

---

١ - مسند الإمام أحمد ١ - ٢٥

وحق بيت يممته الورى ... مغذة فى السير أو مبطئه
إن الإمام الصادق المجتبى ... بفضله الآى أتت منبئه
أجل من فى عصره رتبة ... لم يقترف فى عمره سيئه
قلامة من ظفر إبهامه ... تعدل من مثل البخارى مائه

ولم يكن عدم اعتماد البخارى على الصادق عليه السلام اتفاقاً وصدفة لأن ابن تيمية قد صرح فى كتابه «منهاج السنة» بالسبب فقال: «وقد استراب البخارى فى بعض أحاديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد فيه كلام فلم يخرج له، ويمتنع أن يكون حفظه للحديث كحفظ من يحتج بهم البخارى اهـ».

والذى نقله فى «تهذيب التهذيب» من قول يحيى إن ابن المدينى قال: سئل يحيى بن سعيد القطان عن جعفر الصادق فقال: فى نفسى منه شىء ومجالد أحب إلى منه».

هذه هى الكلمة التى سمعها البخارى وهى أوجبت جرح الصادق عليه السلام.

وهذه بنظر البخارى قد نسخت آية التطهير الواردة فى القرآن الكريم الناطقة بتنزيهه من الدنس وتطهيره من الرجس.

ولو اطلعت على ترجمة مجالد الذى فضله يحيى على الصادق عليه السلام لعرفت فى أى منزلة وضع هذا الناصبى الصادق عليه السلام فإن مجالد هذا ممن اشتهر فى الكذب وضعفه سائر العلماء كما هو مذكور فى ترجمته فى «تهذيب التهذيب» فراجع.

فانظر إلى أى حد وصل النصب بالبخارى وابن تيمية أن قدما على الصادق شاربى الخمور، والمارقين عن الدين، وقاتلى النفوس المحترمة وأشرار الأمة.

نعم: أن البخارى احتج بعلى بن الحسين عليه السلام وروى له حديثاً موضوعا على لسانه.

وقد دعا نصب البخارى أن يرويه مرتين فى صحيحه [1] وهو ما حدثه أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهرى قال: أخبرنى على بن حسين أن حسين بن على أخبره أن على بن أبى طالب أخبره أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبى ليلة فقال: ألا تصليان فقلت يارسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلى شيئاً ثم سمعته وهو مولٍ يضرب فخذه وهو يقول: «وكان الإنسان أكثر شىء جدلا».

وأنت ترى أن البخارى لا يريد بهذه الرواية إلا الحط من كرامة أهل بيت العصمة والخفض من قدرهم وإثبات إنهم ناموا - وحاشاهم - عن صلاة الصبح وأن النبى تأثر منهم، ونسب إليهم الجدل.

ومن اطلع على عبادة أمير المؤمنين الزهراء عليهما السلام وعرف سير حياتهما جيداً يعلم أن الرواية ليست من الصحة فى شىء.

وليس متصور من أمير المؤمنين - وهو نفس الرسول بنص التنزيل - والزهراء - وهى سيدة نساء العالمين إن يناما عن صلاة الصبح مع تنبيه النبى لهما الأمر الذى نبرأ عن أن يتصف به سوقة المسلمين.

ولست أدرى ماهى الأسباب؟ التى تدعو إلى بغضهم لآل محمد عليهم السلام فإنك ترى البخارى وأمثاله لا يمرون على رواية وفيها ذكر لآل محمد إلا لووا أعناقهم، وأغمضوا أبصارهم وأخذوا يضعفونها بكل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا،

---

١ - صحيح البخارى ١ - ١٢٩ وفى ٤ - ١٦٢

ولا تمر عليهم رواية ضعيفة وفيها فضل لسوى آل محمد إلا وفتحوا لها صدورهم وأخذوها بكل شوق ولهفة صارفين النظر عن كل ما يحوطها من ضعف السند أو غير ذلك من العلل التي تنزل من قيمتها لدى الإثبات .

ويعجب إعراضهم عنهم هذا الإعراض مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جعلهما أحد الثقلين كما عرفت .

ويعجب أيضاً تقـــديم غيرهم عليهم في الفقه والرواية وغير ذلك مع أنه قال :

لا تقدموا عليهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

* * *

خاتمة
فى مسائل وجدت فى الصحاح
تؤيد مذهب الشيعة

لقد عرفت فيما سبق شيئاً من « عقائد الشيعة » وعلمت يقينا أنها صحيحة وطبق ما يفرضه العقل والشرع وأنت إذا ألقيت عليها نظرة من حيث الفقه ، والمسائل الشرعية لوجدتها أيضاً كذلك ، ولرأيت أنها أكثر انطباقاً على الكتاب العزيز ، والسنة المقدسة .

ولعل السر فى ذلك أنهم لم يستقوا أحكامهم من القياسات العقلية التى ليس لها ضوابط تؤمن صاحبهـــا من الخطأ فى القول ، والخطل فى الرأى والارتطام بحواجز وعراقيل تكون سداً منيعاً تحيلهم عن الوصول إلى غاياتهم المنشودة .

نعم : كان المصدر الوثيق لهم أحاديث أهل البيت عليهم السلام الصحيحة التى يعلمون صدورها منهم ولاشك أن آراء أهـــل البيت ونظرياتهم هى : الصائبة لأنها صورة طبق الأصل عن آراء النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونظرياته.

ولم تسلك الشيعة صراط أهل البيت المستقيم إلا تبعاً لإرشادات النبى وعملا بنصوصه الصريحه التى كان يواجهها إلى الأمة الإسلامية من التمسك بحبل أهل البيت والأخذ منهم مبيناً لهم ذلك بشتى البيانات ومختلف التعبير.

فالطريق الذى تسير عليه الشيعة اليوم وقبل اليوم لم تهتد إليه لو لم

يحتطه التى بنفسه ويضيئه لها بتعاليمه وإرشاداته ، وناهيك بطريق الهادى إليه : البشير النذير .

ولعلك تندهش إذا ترى أن فى كتب السنة الشىء الكثير من المسائل التى تذهب إليها الشيعة مما يدلك دلالة قوية على أحقيه المذهب الجعفرى ، وأن لله فيه العناية التامة .

وأنا أضع الآن بين يديك مثلا تنكشف بواسطتها لك الحقائق ويبرز الحق بمظهره البهى قوية حجته ، ساطعة أنواره ، وعندها تضطر لأن تتطوع فى حزبه وتنضوى تحت لوائه حاملا رأية التبشير لهذا المذهب العادل .

مسح الرجلين :

لقد اختلف كلتا الطائفتين فى مسألة المسح والغسل فى الرجلين فذهبت الشيعة إلى وجوب المسح ورأت بطلان الوضوء فى الغسل .

وذهب أهل السنة إلى العكس من ذلك ليس لكلا الفريقين حجة يدعمون بها مدعاهم سوى الآية الشريفة « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين » ،

أما أهل السنة فقد عطفوا الأرجل على الوجوه والأيدى وزعموا أن الأرجل إنما وجدت مجرورة فى القرآن لمجاورتها لارؤس المجرور بحرف الجر

وأما الشيعة فقد رأت أن هذا تمحلا زائداً ولم ترتاعياً لا رتكاب هذا التجوز ما دام يمكن عطف الأرجل على الرؤس وجعلت هذا الجر قرينة قوية تؤيد ما ذهبت إليه .

وقد استدلت الشيعة على صحة ما ادعته بأدلة هى فى غاية الاحكام نذكرها للمطالع ليقف على قدرتها فى البحث .

١ ـ وجدت الأرجل مجرورة ولم يتقدم اسم مجرور بحيث يعطف عليه سوى الرؤوس فتعين العطف عليها ، والقول بأنه مجرور بالمجاورة قول شاذ أنكره المحققون .

وذهب الكسائي ـ وهو من أئمة العربية ـ إلى إنه لم يرد في القرآن الجر بالمجاورة على أن النحويين كافة قد جعلوه من الشواذ ، وفصيح القرآن ينزه عن الحمل عليه والأمثلة العربية التي وردت مجرورة بالمجاورة لم ترد بالعطف فيجب الاقتصار على ما ورد إذا أنه ليس من المسائل القياسية التي يقاس عليها ، على أنا نرى من بعض الأمثلة التي وردت مجرورة بالمجاور إنما سوغ فيها ذلك لأن المقصود معلوم سواء في الجر أو في غيره .

وأما في الآية الشريفة فليس الأمر كذلك ، ولو كان المقصود معلوما لما حصل هذا الاختلاف .

ولا أخال أن الخصم يقول : قد قرأ بالنصب فيكون معطوفاً على الوجوه لأنا نقول لا يتعين العطف على الوجوه مع النصب لأن المجرور مع اتصال الجار يجوز العطف على اللفظ ومعناه على حد سواء وعليه فالنصب يكون أيضاً بالعطف على موضع الرؤوس .

٢ ـ أن الرؤوس أقرب فتعين العطف عليه والقرب معتبر لدى أهل اللغة .

ولهذا قالوا . إنه لو قال : ضرب زيداً عمراً وضربته فإن الضمير يعود إلى عمرو لا إلى زيد لقربه وغير ذلك من النظائر .

٣ ـ من القبيح جداً في اللغة العربية الانتقال من جملة إلى أخرى قبل استيفاء المقصود من جملة الغسل .

٤ ـ إن جماعة من كبار الصحابة ذهبوا إلى المسح على رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده وهم أهل البيت « وأهل البيت أدرى بالذي فيه » وصار

إلى المسح أيضاً ابن عباس وجماعة من الصحابة ممن كانوا يرون رأى أمير المؤمنين عليه السلام .

البسملة جزء من السورة

إن الشيعة تذهب إلى وجوب قراءة البسملة فى الصلاة ، وترى أنها جزء من كل سورة وعلى هذه القول سائر أهل البيت عليهم السلام .

وروى مسلم [1] ما يؤيد هذا الرأى قال أنس : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا إذ غفى إغفاءة ثم رفع : رأسه مبتسماً فقلنا له ما أضحكك يارسول الله قال : نزلت على آنفاً سورة فقرأ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا إعطيناك الكوثر فصلى لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر . . .الحديث

ونقل ابن تيمية فى فتاوية [2] « عن نعيم المجمر قال : كنت وراء أبى هريرة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم الكتاب حتى بلغ ولا الضالين قال: آمين وقال الناس : آمين ويقول : كلما سجد .

الله أكبر فلما سلم قال : والذى نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان المعتمر بن سليمان يجهر بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » قبل فاتحة الكتاب وبعدها ويقول : ما آلو أن أقتدى بصلاة أبى .

وقال أبى : ما آلو أن أقتدى بصلاة أنس .

وقال أنس : ما آلو أن أقتدى بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم .

---

١ - صحيح مسلم ١ - ١٥٨ .

٢ - الفتاوى ١ - ٧٤ .

فهذا صريح بأن البسملة جزء من السورة وشرط فى الصلاة .

وأما ما رواه مسلم فى صحيحه من قول أنس صليت : خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان (رض) فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول القراءة ولا فى آخرها ، لاينافى ما ذكرناه لأن عدم سماعه ليس بدليل على عدم قراءتهم لها لاحتمال أنهم كانوا يخفتون بها على أن الجمع بين حديثى أنس لا يتصور إلا على هذا الوجه .

لفظة آمين فى الصلاة

إن لفظة آمين ليست من شروط الصحة فى الصلاة لدى الطوائف الإسلامية جمعاء ، ولا قائل منهم بوجوبها ولكن أهل السنة يجوزون قراءتها فى الصلاة بخلاف الشيعة فإنها ترى بطلانها .

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤيد مذهب الشيعة قال معاوية بن الحكم السلمى : [1] قال : سمعت رسول ﷺ يقول .

إن صلاتنا لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هو : التسبيح والتهليل والتحميد وقراءة القرآن ، ولفظة آمين ليست من القرآن بالإجماع فيجب اجتنابها نزولا على حكم الحديث الشريف .

المسح على الخفين

إن الشيعة لا تجوز المسح على الخفين بل توجب المسح على القدم وقد

---

١ - بداية المجتهد للقرطبى ص ١٠٩ .

وردت روايات تدل على ذلك فى مسند الإمام أحمد [١] ، .

عن على عليه السلام قال : كنت أرى أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ظاهرهما وذكر ذلك أيضاً ص ١١٢ وفى ص ١٢٤ فراجع .

القنوت قبل الركوع

إن أهل السنة يستعملون القنوت بعد الركوع بخلاف الشيعة فإنها ترى أن القنوت قبل الركوع لا بعده ومما يشهد له بذلك ما رواه البخارى « عن أنس قال : [٢] بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بنى سليم ، رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقال القوم :

والله ما إياكم أردنا إنما نحن مجتازون فى حاجة للنبي صلى الله عليه وسلم فقتلوهم فدعا للنبي صلى الله عليه وسلم عليهم شهراً فى صلاة الغداة وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت .

قال عبد العزيز : وسأل رجل انساً عن القنوت بعد الركوع أو عند الفراغ من القراءة قال لا بل عند الفراغ من القراءة » .

وروى البخارى فى الجزء الأول أيضاً عن [٣] عاصم أنه سئل مالك عن القنوت فقال : قد كان القنوت قلت : قبل الركوع أو بعده قال : قبله قال فإن

---

١ - مسند الامام أحمد ١ - ٩٥ :

٢ - صحيح البخارى ٣ - ١٠ وذكر نظير ذلك ص ١٩ منه

٣ - صحيح البخارى ١ - ١١٣

فلاناً أخبرني عنك أنك قلت بعد الركوع فقال : كذب إنما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع شهراً ، ومثل هذه الروايات كثير .

التكبير على الجنائز

الشيعة تكبر على الجنائز خمساً وقد ورد في صحيح مسلم ما يشهد لذلك روى في الجزء الأول [1] ، عن شعبة بن عمر بن مرة عن عبد الرحمن بن ليلى قال : كان زيد يكبر على الجنائز أربعاً وأنه كبر على جنازة خمساً فسألته .

فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبرها ،

كراهة الصلاة على الجنائز في المسجد

من السنة المتبعة اليوم عند أهل السنة أن يمروا بموتاهم في المسجد ويصلون ثمة عليهم وقد روى مسلم في الجزء الأول من صحيحه [2] ما يقوي المذهب الجعفري من الذهاب إلى كراهة الصلاة على الميت في المسجد .

فقد روى عبد الله بن الزبير أن عائشة أمرت أن يمر بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد فيصلى عليه فأنكر الناس ذلك عليها فقالت :

ما أسرع ما انسى الناس ، ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل ابن البيضاء في المسجد وفي رواية :

ان الناس عابوا ذلك وقالوا : ما كانت الجنائز يدخل بها المسجد فبلغ ذلك عائشة فأجابت بما عرفت .

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٣٥٢ .

٢ - المصدر نفسه ١ - ٣٥٨ .

وغير خفي على القارىء الكريم إنهم لم يعيبوا عليها ذلك لأنهم كانوا يرون أن الصلاة عليها في المساجد محرمة بل لأنها مكروهة .

ولا يرفع الكراهة استشهاد عائشه بصلاته صلى الله عليه وآله وسلم على سهيل إذ أنه ما صلى عليه إلا لإفهام المكلفين أن الصلاة على الميت ليست بمحرمة في المسجد .

ولو أن الصلاة على الميت مستحبة لكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أول من واظب عليها وحضهم على الالتزام بها شأنه في سائر أوامره الإرشادية .

التكبير بعد الصلاة

تستعمل الشيعة عند الفراغ من الصلاة التكبير وقد روى مسلم [1] عن عامر بني سعد عن أبيه ما يدعم ذلك قال : كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده .

وعن ابن عباس قال : كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير .

وعن بن عمر بن دينار عن أبي معبد مولى ابن عباس أنه سمعه يخبر عن ابن عباس قال : ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالتكبير .

قال عمر : فذكرت ذلك لأبي معبد فأنكره وقال : لم احدثك بهـــذا قال عمر وقد اخبر به قبل ذلك وكما أن التكبير كان متعارفاً فقد كان الذكر كذلك أيضاً فقد روى عمر وبن دينار : — كما ذكره في نفس الصفحة التي ذكر فيها التكبير .

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٢١٩

« أن أبا معبد مولى ابن عباس أخبره أن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قال : قال ابن عباس كنت أعلم إذا نصرفوا بذلك إذا سمعته » .

الجمع بين الصلاتين

إن الشيعة ترى أن الأفضل ترك الجمع بين الصلاتين ولكنها تجوز الجمع بينهما فى السفر والحضر لعلة أولغير علة بخلاف أهل السنة فإنهم لايجوزونه إلا لعلة كالمطر وشبهه ، وأوسع المذاهب الأربعة فى مسألة الجمع مذهب الإمام أحمد فإنه لم يشترط المطر بل أجازه ولو للوحل والريح الشديد البارد أو الحرج أو الشغل .

والصحيح ما تذهب إليه الشيعة فإنه قدصح عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه جمع بين الصلاتين فى السفر والحضر من غير علة .

أما جمعه فى السفر :فقد روى البخارى فى الجزء الأول من صحيحه [١] : «عن سالم عن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعجله السير فى السفر يؤخر المغرب حتى يجمع بينهما وبين العشاء .

قال سالم : وكان عبد الله يجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة ، وقد روى أيضاً [٢] .

عن ابن عباس قال : كان رسول الله يجمع بين صلاة الظهر والعصر

---

١ - صحيح البخارى ١ - ١٢٣ .

٢ - المصدر نفسه ١ - ١٢٤ .

إذا كان على ظهر سير ، ويجمع بين المغرب والعشاء ،

وعن أنس بن مالك نظير ذلك .

وأما جمعه صلى الله عليه وسلم فى الحضر من غير علة فهذا مسلم يحدثنا [1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ، جميعاً والمغرب ، والعشاء جميعاً فى غير خوف ولا سفر » .

وفيها : عن أبى الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نظير ذلك

وقال أبو الزبير : فسألت سعيداً لم فعل ذلك فقال :

سألت ابن عباس كما سألتنى فقال : أراد أن لا يحرج أحداً من أمته

وروى البخارى أيضاً فيه [2] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر ، والعصر والمغرب ، والعشاء بالمدينة فى غير خوف ولا مطر .

وفيها : عن عبد الله بن شقيق قال : خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون : الصلاة الصلاة قال : فجاء رجل من بنى تميم لا يفتر ولا ينثنى الصلاة الصلاة قال فقال : أتعلمنى بالسنة لا أم لك ثم قال :

رأيت رسول الله جمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء .

قال عبد الله بن شقيق : فحاك فى صدرى من ذلك شىء فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته ، ولعل خفة مؤنة الجمع هى السبب فيما ترى من كثرة المصلين فى أعوام الشيعة وقلتهم فى غيرهم .

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٢٦٤

٢ - صحيح البخارى ١ - ٢٦٥

صلاة القصر

تجب صلاة القصر على المسافر عنـــد الشيعة إذا قصد المسافر المسافة واستمر القصد ، ولم يكن سفره معصية ، وإذا كان لم ينو قطع المسافة بإقامة عشرة أيام فصاعداً فى أثناء سفره أو مروراً فى وطنه .

وأن لا يكون له السفر مهنة كأن يكون ملاحاً أو ساعياً وماشابه ذلك .

والمسافة عندهم الموجبة لقصر الصلاة ثمانية فراسخ وإن كانت ملفقة من أربعة ذهاباً وأربعة أياباً فى يوم واحد أو فى ليلة واحدة أو فى الملفق منهما مع أتصال إيابه بذهابه أو قطعه بمبيته ليلة أو صاعداً من غير أن تحصل الإقامة القاطعة للسفر أو غيرها من القواطع .

والذى يؤيد نظرية الشيعة ويبطل ما يدعيه أهل السنة من اشتراط ثلاثة أيام لحصول السفر عندهم ما رواه مسلم فى الجزء الأول من صحيحه [١]

« عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة أربعاً وصلى العصر بذى الحليفة ركعتين وروى فيه مسلم [٢] :

« عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة المسافر بمنى وغيره ركعتين وأبو بكر وعمر ، وعثمان ركعتين صدراً من خلافته ثم أتمها أربعاً .

وعن ابن عمر نظير ذلك وعن حفص بن عمر قال : « صلى النبى صلى الله عليه وسلم بمنى صلاة المسافر وأبو بكر وعثمان ثمان سنين أو قال : ست سنين قال حفص وكان ابن عمر يصلى بمنى ركعتين ثم يأتى فراشه فقلت له أى عم لو صليت بعدها ركعتين قال لو فعلت لأتممت الصلاة » .

---

١ — صحيح مسلم ١ - ٢٥٩

٢ — المصدر نفسه ١ - ٢٦٠

وروى مسلم فى الجزء الأول أيضاً [١] عن عبد الرحمن بن يزيد أنه قال: صلى بنا عثمان بمنى أربع ركعات فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثم قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع أبى بكر الصديق بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان».

وروى البخارى [٢] عن أبى مرة عن عائشة أنها قالت: الصلاة أول مافرضت ركعتان فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر.

قال الزهرى: فقلت لعروة مابال عائشة تتم قال: تأولت ما تأول عثمان.

وأنت ترى من هذه الروايات إن الذى أتم الصلاة هو عثمان وتبعته عائشة وإلا فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وعمر: والتقصير كما عرفت.

صلى على خير العمل

لاشك أن الصلاة خير الأعمال وأفضلها، وبذلك جاءت النصوص المتواترة عن طريق العترة الطاهرة وقد جاء فى الجزء الأول من صحيح مسلم مايؤيد ذلك.

وروى عن عبد الله بن مسعود [٣] قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال: الصلاة لوقتها. قال قلت: أى قال: الجهاد فى سبيل الله فما تركت استزيده الا رعاء عليه وحيث كانت الصلاة بهذه المثابة فى نظره

---

١ صحيح مسلم ١ / ١٦١ و ١٢٢

٢ - صحيح البخارى ١ / ١٢٣

٣ - صحيح مسلم ١ - ٤٨

صلى الله عليه وآله وسلم أمر المسلمين أن يقولوا فى الأذان والإقامة : « حى على خير العمل » .

وما أن ولى الخلافة « ر ض » حتى اسقطها ووعد المعاقبة على من فعلها ظناً منه أن ذكرها فى الصلاة يزهد الناس فى الجهاد ويجعلهم يقتصرون على الصلاة لأن فيها حصول الثواب الجزيل ، والأمن من مخاطر الجهاد .

وقد ذكر العلامة القوشجى الأشعرى فى أواخر مباحث الإمامة من شرح التجريد[1] :

إن عمر قال : ثلاث كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا انهى عنهن واحرمهن واعاقب عليهن .

« متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحى على خير العمل » .

وأما الشيعة : فقد تعبدت بنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتخذت « حى على خير العمل » شعاراً لها ولا تزال مواظبة على هذه السنة حتى اليوم .

وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده ومن كان يرى رأيه من الصحابة لا يسقطون حى على خير العمل بل الحلبي يحدثنا فى سيرته[2] أن ابن عمر كان على هذا الرأى أيضاً .

الطمأنينة فى الصلاة

تجب عند الشيعة الطمأنينة فى الصلاة وقد روى البخارى مايدل على

---

١ - نقل ذلك عنه سيدنا آية الله الخال الأعظم فى كتابه الجليل : « الفصول المهمة » ص ٦٨. سيصدر هذا الكتاب فى المجلد الأول من موسوعة الإمام شرف الدين الإسلامية بمصر . - الناشر -

٢ - السيرة الحلبية ٤ - ٥٦

ذلك [١] عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل صـــلى إرجع فصل فإنك لم تصل ثلاثاً قال : والذى بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى فقال : إذا قمت إلى مصلاة فكبر ثم أقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم إركع حتى تطمئن راكعاً ثم إرفع حتى تعتدل قائماً ، ثم إسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم أرفع حتى تطمئن جالساً وافعل ذلك فى صلاتك كلها » .

وقد ذكر مسلم [٢] حديثاً عن عائشة تصف فيه صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يؤيد الحديث السابق قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وكان إذا ركع لم يشخص بصره ولم يصوبه ولكن بين ذلك وكان إذا رفع رأسه من الركوع لم يسجد حتى يستوى جالساً وكان يقول فى كل ركعتين : التحية .

وكان يفرش رجله اليسرى وينصب رجله اليمنى .

وكان ينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع وكان يختم الصلوة بالتسليم .

الصوم فى السفر

إن أهل السنة يجوزون فى السفر الصوم ، والإفطار إلا أنهم يرجحون الصوم استناداً إلى قوله تعالى : « وأن تصوموا خير لكم » .

وأما الشيعة فإنها ترى بطلان الصوم فى السفر .

وأما الآية فقد ورد عن أهل بيت العصمة : إن المقصود بها : الشيخ والشيخة لا المسافر وقد جاء فى الجزء الأول من صحيح مسلم [٣] مايدل على أن الصوم فى السفر معصية وهو الذى تذهب إليه الشيعة قال :

---

١ - صحيح البخارى ٢ - ١١٠

٢ - صحيح مسلم ١ - ١٩٠

٣ - المصدر نفسه ١ - ٤١٦

« وعن جابر بن عبـــد الله أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح إلى مكة فى رمضان فصام بلغ كراع الغميم فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب فقيل له بعد ذلك أن بعض الناس قد صام قال : أولئك العصاة » .

وعن جابر رحمه الله أيضاً قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فرأى رجلا قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه فقال ماله : قالوا رجل صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس البر أن تصوموا فى السفر » وروى أيضاً عن أنس [1] قال :

« كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى السفر فنا الصائم ومنا المفطر ،قال: فنزلنا منزلا فى يوم حار أكثرنا ظلا صاحب الكساء ومنا من يتقى الشمس بيده قال : فسقط الصوام وقام المفطرون فضربو الأبنية وسقوا الركاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذهب المفطرون اليوم بالأجر » .

الخمس :

من الواجبات عند الشيعة على المكلف الخمس وبه جاء القرآن الكريم قال تعالى : « وأعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » .

وأنت ترى أن الآية تصرح أن لقربى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سهماً خاصاً لا يشاركهم فيه غيرهم من أفراد الأمة الإسلاميه ولكن مع الأسف ترى أهل السنة قد أسقطوا هذا الحق ولم يفرقوا بينهم وبين غيرهم .

أما النبى فقد كان يخص أهل بيته بسهم من الخمس يدل على ذلك ما رواه

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٤١٧

الإمام أحمد[١]: عن أبي ليلى قال : سمعت أمير المؤمنين علياً يقول : اجتمعت أنا وفاطمة والعباس وزيد وحارثه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال العباس يارسول الله كبرسنى ، ورق عظمى ، وكثرت مؤتى ، فإن رأيت يارسول الله أن تأمر لى بكذا وسقا من طعام فافعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعل ذلك ، ثم قال زيد بن حارثة يارسول الله كنت أعطيتنى أرضاً كانت معيشتى منها ثم قبضتها فإن رأيت أن تردها علىَ فافعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعل ذاك ، قال : فقلت يارسول الله إن رأيت أن تولينى هذا الحق الذى جعله الله لنا فى كتابه من هذا الخمس فاقسمه فى حياتك كيلا ينازعنيه أحد بعدك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفعل ذاك فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمته فى حياته .

ثم ولانيه أبو بكر فقسمت فى حياته .

ثم ولانيه عمر فقسمت فى حياته حتى كانت آخر سنة من سنى عمر فإنه أتاه مال كثير .

وبالجملة : إن الخمس من أركان الدين ومن الواجبات التى كان يحض عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد روى البخارى[٢] :

«إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آمركم بأربع ، وأنهاكم بأربع : الإيمان بالله ، شهادة أن لا إله إلا الله وعقد بيده ، وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة ، وصيام رمضان وأن تؤدوا لله خمس من غنمتم وإنهاكم ... الحديث»

---

١ ـ مسند الإمام أحمد ١ ـ ٨٤

٢ ـ صحيح البخارى ٢ ـ ١٧

طلاق الثلاث

إن الشيعة تعتبر الطلاق ثلاثاً فى مجلس واحد طلقة واحدة،فلو قلت مثلا إمرأتى طالق ثلاثاً حصل الطلاق ولكنه مرة واحدة .

وهذا بديهى فإنك لو نذرت مثلاً : أن تسبح الله تعالى مائة مرة وقد استجاب الله نذرك فهل تفرغ ذمتك من هذا النذر إذا قلت سبحان الله مائة مرة غير تكرار التسبيح .

لا شك أنك تبقى مشغول الذمة وهكذا مسألة الطلاق .

وقد روى مسلم ما يؤيد مذهب الشيعة فى هذه المسألة قال عن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة .

فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فامضاه عليهم [١]

وفيها عن طاوس : إن أبا الصهباء قال لابن عباس : هات من هناتك ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر واحدة .

فقال : قد كان ذلك فلما كان فى عهد عمر تتابع الناس فى الطلاق فأجازه عليهم .

وتشترط الشيعة فى الطلاق : الطهر .

وقد جاء فى الصحيح [٢] ما يؤيد ذلك قال :

---

١ - صحيح مسلم ١ - ٥٧٤

٢ - المصدر نفسه ١ - ٥٧١ .

« وعن عبد الله أنه طلق إمرأة له وهي حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ثم تحيض عنده حيضة أخرى ، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها ، فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق بها النساء اهـ » .

هذا بعض ما وجد في الصحاح من المسائل التي تؤيد مذهب الشيعة ، ولولا حب الاختصار لأتينا بالشيء الكثير ، على أن فيما ذكرناه كفاية لمن ألقى إليه السمع وهو شهيد .

وأحب أني قد قمت - في تأليفي هذا - ببعض الواجب إزاء خدمة هذه الطائفة المهتضمة ، كما أخال أني استطعت أن أصور الشيعة للمطالع تصويراً صحيحاً يستطيع من ذلك أن يستكشف منه صحة معتقداتها وتقدمها على المذاهب الأربعة في الرأي والمعتقد .

وأسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم إنه أرحم الراحمين . والحمد لله أولا وآخراً والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ؟

تم بحمد الله طبع هـذا الكتاب في طبعته الثانية بمطبعة « دار التوفيقية للطباعة » بالأزهر الشريف بمصر وكان ذلك في اليوم العاشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٨ هـ موافق عام ١٩٧٨ والحمد لله أولا وآخراً والصلاة على محمد وآله الهداة المهديين سلام الله عليهم أجمعين .

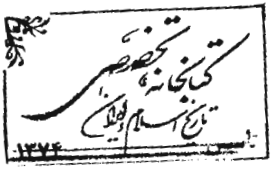

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الدكتور حامد حفنى داود	٦
مقدمة المؤلف	٢١
افتراق الامة الإسلامية	٢٨
أمهات الفرق الإسلامية	٣٣
السبب الاساسى للافتراق	٤١
نظرة تحليلية فى المذاهب الإسلامية	٤٢
اعتقادهم بالأنبياء والرسل	٥٣
الشيعة وتكونها	٦٩
الشيعة الإثنى عشرية	٧٣
الإمامية — الجعفرية	٨٣
خلافة أمير المؤمنين عليه السلام	٨٤
خلافة الائمة الاحد عشر من ولد على عليه السلام	١١٣
مجمل عقائد الشيعة	١١٩
عقائدها فى الله تعالى	١٢٣
أصول الدين عند الشيعة	١٢٥
عصمة الأنبياء (ص)	١٢٦
عصمة الأئمة (عليهم السلام)	١٣٦

الموضوع	الصفحة
وجود المهدى عليه السلام	١٢٧
مصادر الشيعة الإمامية	١٢٩
مصادر أهل السنة	١٤١
الصحاح تؤيد مذهب الشيعة	١٧٣
مسح الرجلين	١٧٤
البسملة جزء من السورة	١٧٦
القنوت قبل الركوع	١٧٨
التكبير على الجنائز	١٧٩
التكبير بعد الصلاة	١٨٠
الجمع بين الصلاتين	١٨١
صلاة القصر	١٨٣
حى على خير العمل	١٨٤
الطمأنينة فى الصلاة	١٨٥
الخمس	١٨٧
طلاق الثلاث	١٨٩
خاتمة الكتاب	١٩٠
فهرس مواضيع الكتاب	١٩١

كتابخانه تخصصی تاریخ اسلام و ایران